

ضحايا مصر في السودان وخصايا السياسة الانجليزية

للباحث المطلع

محزونه

« مذييل »

بمذكرة المرحوم محمد أبي الفتوح باشا عضو
الوفد الرسمي التي قدمها في مفارضة المرحوم
عبدل يكن باشا سنة ١٩٢١ م عن السودان
المصري .

طبع على نفقة دائرة

مفكرة صاحب السمو الامير عمر طوسون

الطبعة الثالثة

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

مطبعة السفير باسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهداء الكتاب

أهدى كتابي هذا الى حضرة مولاي صاحب السمو الامير
الجليل المحبوب عمر طوسون عين الأمة المصرية وانسانها وقلبها
ولسانها وحفيد محبي مصر ومنشئ السودان وأسمى من قدر السودان
قدره وأجل من أشاد بذكره واعظم من نادى بوجوب رده الى
حظيرة الوطن الاكبر

والى أرواح أولئك الشهداء الابرار الذين رووا أرض السودان
بدمائهم الزكية تقانياً في الابقاء على العلاقات التاريخية والصلات
الابدية التي تربط مصر به من مبدأ الزمان وكتبوا بذلك أخلد صفحة
في سجل أشرف تضحية (أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

المؤلف

السودان

النيل نيلنا والسودان بلادنا
فتمالوا الى كلمة سواء بيننا

تمهيد

السودان روح مصر وحياتها — إن تركته لا يتركها وإن
تركها لا تتركه — ما في هذا أقل شك ولا أدنى ريب فليعلم من
لا يعلم أن كل حل للمسألة المصرية من شأنه أن يفصل السودان
عن مصر إنما هو حل فاشل مقضى عليه بالخيبة الدائمة والنقص
المستمر . وسوف تظل مصر ساخطة غاضبة ما لم يبق السودان
جزءاً منها لا يتجزأ . وإنه خير للمصريين السر والمصريين البيض
ان يرسفامعا الى الابد في أغلال الاستعباد من أن يبت في مصير
كل منهما على حدة.

وبعد فقد آن للانكليز ولمن يود من أبناء هذا الوطن التعس
لو يجاريهم في اعتبار أن مصر شيء والسودان شيء آخر . أن يرجعوا
الى التاريخ القديم حتى يتبين لهم أنه لم يكن ثمت في العالم ما يدعى
بالامبراطورية البريطانية بل بريطانيا الصغرى أيام أن فتح فراغة
الامرة السادسة القديمة بلاد السودان منذ أكثر من أربعة آلاف

الباقية من الجيش العراقي ؟ ألم تضح بغوردون تنفيذاً لسياسة اجلاء
المصريين عن السودان ؟ ألم تنتهز فرصة مقتل السردار لتلتهم السودان
وتبتره بتراً من جسم الوطن الاكبر ؟

هاهي ضحايانا وضحاياكم من وقت قيام الثورة المهدية حتى مقتل
التعاشي - أعني من ١٢ أغسطس سنة ١٨٨١ الى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ - قد
توخيت البقة المتناهية في احصائها كيلا اتهم بالتحيز والتحاميل ولم
أقدم على اعلانها إلا بعد أن راجعت كل ماوقع بيدي من الكتب
والاستندات التاريخية وأنا بالسودان أولاً وبمصر أخيراً متى وثلاث .
وقارنت بين ماورد فيها وما دونه بمذكراتي من أقوال المعاصرين
من شهود الرؤية من مواطنينا هنا وهناك الذين اشتركوا في معظم
الوقائع . ثم قابلت بين هذا كله وما جاء بمؤلف نعوم بك شقير وهو
خلاصة وافية لما كتب مختلفو المؤرخين عن السودان . وقد اشتهر صاحبه
بأنه من أكثر الباحثين اعتدالاً وأقلهم جميعاً اسرافاً في تقدير عدد
الضحايا فضلاً عن كونه قد شاهد بعينه أغلب وقائع الفتح . واستشهدت
بأقوال كل من سلاطين باشا في وقائع دارفور وإبراهيم فوزي باشا في
وقائع الخرطوم لأنهما حضرا تلك الوقائع بنفسيهما .

وخشي الآن أن أدع للأرقام الكلام :

ضمنا يانا وضمنا يام

من الارواح

الوقائع الأولى

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
تمسك في هذه الموقعة ١٠٠٠ من الثوار وملكهم.		٤٠٠	١٢ أغسطس سنة ١٨٨١	واقعة آبا
قتل ثلاثة على رجال الجيش ٢٠٠٠ من الأحرار الموالين لمصر.		٦٠٠	٩ ديسمبر سنة ١٨٨١	و راشد بك
		٤٠٠٠	٢٩ مايو سنة ١٨٨٢	و الشلال
		٥٠٠٠		

الوقائع الثانية

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
		١٠٠٠	١ أبريل - يونيو سنة ١٨٨٢	وقائع ابن المكاشف. والشريف احمد طه. ومحمد زين. وقيصر
		٢٠٠٠	يوليو	واقعة الجبلين
		١٠٠٠	١ أغسطس - ديسمبر	وقائع شات. والدويم. وام سنيطة وحلة حجاج
		٥٠٠	١ يناير - مارس ١٨٨٣	وقائع معزوق. والداعى. وسقدمويه والتنبه
		٤٥٠٠		

وقائع صكوك مصر

الوقائع	التاريخ	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
وقائع البركة . وبارا . والطيارة والأبيض الأولى	مايو - سبتمبر سنة ١٨٨٢	٣٠٠٠		ذبح في الطائرة نحو ١٠٠٠٠ نايج مصرى وبيت إنيام.
واقعة على بك لطفى أبو كوكرة	سبتمبر	٢٠٠٠		حدثت الموقعة في حلة صكوك وديون.
حصار بارا وسقوطها	٥ يناير سنة ١٨٨٢	١٠٠٠		{ جمع من الابل ٣ مليون و٢٥٠ ألف جنيه واربعة آلاف اوقية ذهب خام . وخمسة قناطير حل . و ٤٠ قنطار فضة . وقتل وجرح نحو ١٠٠٠٠ نفى وقتل .
الأبيض وسقوطها	١٩ يناير	٣٠٠٠		
واقعة المراجع	أبريل	٣٠٠٠		
مكس	٥ نوفمبر	١٠٠٠٠	١	وقضى سبعة شبكان .
		١٩٣٠٠	١	

وقائع
مع طوكر وسواكن وسفكات

ملاحظات	خسائر انجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
الثاني فام ابراهيم فوسى السوارى قال انه كان حكام السكفافة فى واقعة التيب الثانيه وعرف من عازى الانجليز حيث بلغ عن وجود المدو يقرب التيب فلم يفتح له بلاغ حيث كان يصكر الثانيه . الى ان وقع جازيش الكفافة السوارى فى كين السدود . عندئذ فقط وقع الجيش المصرى فى العبية التى برغها الانجليز .	١٥٠٠	١٨٨٣	انقسطس - ديسمبر سنة ١٨٨٣	وقائع سنكات . وقباب . وابنت . والتيب الاول . وطاى الاولى واقعة التيب الثانيه حصار سنكات وسقوطها
لم اسدل على عدد القتل من الجيش المصرى فى هذه الوقائع وسع انه لا يوجد ذلك فى صكونه اضفاف ماقتل من الانكليز كما هى السادة فكمه ضربت صفحا عن تقديره	١٨٩ ٢٢٠ ٤٨ ٢٤٦	٣٠٠٠ ٢٠٠ ٥٠٠	١٨٨٤ فبراير مارس	طوكر واقعة التيب الثالثه طاى الثانيه تل هشيم توفرك
	٧٥٣	٥٦٠٠		

وقائع السودان المشرق

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
قتل في هذه الوقائع وسواها تلك الجهات نحو		٥٥٠	نوفمبر وديسمبر ١٨٨٣	وقائع مريود . وقلبي . وزرقه
الشمرة آلاف من رجال القبائل السوالين لمصر		٥٥٠	فبراير ومارس ١٨٨٤	الجمام . والعشرة . وسدينة
وغيرهم من شعبة السادة الرغنية.		١٠٠٠	٥ يناير ١٨٨٥	واقعة قسالموسيت
		٢٠٠٠		

وقائع خط الاستواء

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقائع
		٢٠٠٠	١٨٨٩ — ١٨٨١	وقائع خط الاستواء.

—١٤٨—

مع بربر وقائم

الوقائع	التاريخ	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
محمد علي بربر وسقراط	مايو سنة ١٨٨٤	١٥٠٠		{ وجد التوار بالجزيرة ٥٥٨١٢ جليها كانت مرسلة الى مصر و ٨٠٠٠ كانت محملة . و دفع ٣٠٠٠ مصري .

وقائم مع دقة

الوقائع	التاريخ	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
وقائم دقة	سبتمبر سنة ١٨٨٤	٤٠٠		

وقائع حصار الخزط وم

ملاحظات	خسائر إنجلترا	حصار مصر	التاريخ	الوقائع
		٣٥٠٠	مارس ١٨٨٤	وقائع الحفافية الاولى . والشرق والحفافية الثانية
		٢٥٠٠	يوليه واغسطس	وقائع القطية . والكلاكة . وبري والجريف . والحفافية الثالثة
		٨٠٠٠	سبتمبر	وقائع أبو حراز . والميفون . وأم ضبان
	٢	٢٠		بعثة استيوارت
		٣٠٠	١٨٨٥ يناير	حصار أم درمان وسقوطها
	١	٨٠٠٠	يناير ٢٦	سقوط الخرطوم
	٣	٢٢٣٢٠		

السكرانيل استيوارت والستر يور قنصل إنجلترا بالخرطوم .

أحصى من الغنائم ٣٠٠ ألف جنيه . و ٣٠٠ ألف ريال
٣٠٠ قنطار حتى . و ٤٠٠ قنطار فضة . وسيت ٣٥٠٠٠
قنطار . وقتل ٢٤٠٠٠ مصري من السكان .

سنة ١٢١٠

حرمه _____ سنة الله _____ اذ غر _____ دون

الوقت	المسار	التمارين	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
وقائع أبو طليح والتمه وكركان	١٧ يناير - ١٠ فبراير سنة ١٨٨٥			٣٤٩	لم تذكر خسائر مصر مع ان الجزء المصري حلت البرابر فوق السجلات ثلاثة ايام

حصر كل كسار

الوقت	المسار	التمارين	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
حصار كسلا وسقوطها	٢٩ يولييه سنة ١٨٨٥		٤٥٠٠		انظر حسان بك قائدها شجاعه عند اعدائه يامر حسان وجنوده فلما

حصر كل كسار

الوقت	المسار	التمارين	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
حصار سينار وسقوطها	١٩ أغسطس سنة ١٨٨٥		٥٥٠٠		مردد جميع القبع التي وجده لدى الاهالي وكانوا اننى اعطى السودان .

لمود وقائع الخ

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقت
		١٥٠٠	١٨٨٥ — ١٨٩١	وقائع الحدود.

وكرر اسـ ترجاع طـ

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقت
		٢٠٠٠	١٨٨٨ — ١٨٩١	واقعا هندوب والجزيرة

نـ ريدة دقة

ملاحظات	خسائر إنجلترا	خسائر مصر	التاريخ	الوقت
		٢٥٠	١٨٩٦ - أبريل	وقائع تجريدة دنقلة

وبناء على الكور

الوقت	التاريخ	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
وباء الكوليرا	١٥ يونيو - ٢٠ أغسطس ١٨٩٩	١٦٠	١٩	

ير

وقال مع الفتح الإخ

الوقت	التاريخ	خسائر مصر	خسائر إنجلترا	ملاحظات
واقعة أبو حمد	أغسطس سنة ١٨٩٧	٨٦		
د عطية	أبريل ١٨٩٨	٤٣٣	١١٧	
د أم درمان	٢ سبتمبر ١٨٩٨	٣٣٠	١٦٠	
د الرصيرص	٢٦ ديسمبر ١٨٩٨	١٤٩		
واقعة أبو عادل والجديد	٢٣ و ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩	٢٦		
القنارف	١٨٩٨			
حصار القنارف		١٠٢١	٢٧٧	لا مداليه حربية وسبك.

فجيلة الضحايا من الجيش المصرى ٨٠٠٠٠ قريبا (٧٩٧٥١) مقابل
١٤٠٠ من الجيش الانكيزى.

ولرب معترض يقول : وهل كانت لمصر كل تلك الجنود بالسودان ؟
ودفعاً لهذا الاعتراض أذكر فيما يلى بيان الجيش الذى كانت مرابطاً
بالسودان قبيل الثورة : -

١٩٥٠	ضابطا وجنديا	بدقة
٢١٧٠	»	»
٧٤٧٠	»	»
٢٣٥٠	»	»
١٦١٠	»	»
٨٠٠	»	»
٢٠٠	»	»
٣٩٤٠	»	»
٩٢٠	»	»
١٩٠٠	»	»
٣٤٧٠	»	»
٥٨٣٠	»	»
٤٨٦٣	»	»
٨٨٦	»	»
٢١٣١	»	»
٤٠٤٩٠	الجملة	

الجديد الذى تألف بعد حل الجيش العسراى و عدد رجاله لاىجاوز الستة آلاف لم يتم تدريبه ولا استطاع الاستغناء عنه وكانت السياسة الانكليزية مصممة على ارسال حملة يىكر بحجة إقناذ حاميتى سنكات وطوكر ، جمع من الرديف :-

٦٥٠ جنديا من الاسكندرية

٥٠٠ » » القاهرة

٤٥٠ » » عساكر مصوع

٤٢١ » » عساكر منيهت

٤٢٩ » » الازراك الباشبوزق

٦٢٨ » » عساكر الزير باشا

١٢٨ » » الطوبجية

٣٠٠ » » الفرسان المصريين

١٥٠ » » الفرسان الباشبوزق

والجلة ٣٦٥٦

وكان مع هذه القوة القائد ابراهيم بك فهمى السوارى ويزوى بأنه كان قائد الكشافة وعند ما نظر العدو أرسل الخبر فلم يستمع منه حتى قبض العدو على المقدمة وعندما تمت النكبة بجميع القوة مات خمسة أسداسهم فى أول موقعة

الضحايا من غير العسكرين

هذا وقد أجمع المؤرخون والمعاصرون على أن عدد الضحايا من المصريين المدنيين الذين لم يشتركوا في الحروب فاق كل حصر . ونحن نقدم بما لا يقل عن ربع مليون شخص . وتدل فيما يلي بالأدلة التاريخية والحوادث الواقعية التي تؤيد هذا التقدير :-

أولا

كانت مدينة الطيارة أكبر مركز لتجارة الصمغ وريش النعام وسواهما من محصولات كردفان . وكان بها زهاء العشرة آلاف تاجر وعامل جلهم من المصريين فذبجوا على بكرة أيهم حيث اعتزم الفقيه اللثة - زعيم قبائل الجمع والجوامعة وأخطر الثوار في صحراء كردفان - أن يقضى على جميع الذكور حتى الاجنة في بطون أمهاتها خشية أن تكون ذكورا . وقد بقرت بطون نحو ألف سيدة حبلى لهذه الغاية الوحشية . وكلت قومه يذفون بالأطفال في الجو ويتلقونهم على أسنة الرماح - الامر الذي استنكره المهدي نفسه

ثانياً

كان عدد سكان مدينة الأبيض حاضرة كردفان يربو على الخمسين ألفاً أغلبهم من المصريين . فلما سقطت المدينة لم يبق من هؤلاء سوى بضعة آلاف حيث قضى الجوع على أغلبهم أثناء الحصار إذ بلغت أسعار الحاجيات

أقصى ما يتصوره العقل . فكانت الافة من لحم الحمير تباع بمائتي ريال .
وأكل الكثيرون بعضهم بعضا فضلا عن ما نوا أثناء التعذيب للدلالة
على ما خبثوه من أموالهم ، وسبيت جميع الفتيات فانتحر بعضهم
والكثيرون من أوليائهن .

ثالثاً

كان محمد بك خالد زقل ابن عم المهدي وكيلاً ثم مديراً لمديرية
دارة بدارفور . فلما أمره ابن عمه على جميع الاقليم انتقم شر انتقام
من زملائه ومروسيه المصريين ونكل بهم أشد تنكيل لدرجة حملت
ضابطين من زملائه على تفضيل الانتحار السريع على الموت البطيء
الذي كان يلاقيه اخوانهم ومواطنوهم . وحكاية الصاغ حماده افندي
ما زال مضرب الأمثال في السودان حتى اليوم . فقد ضرب ثلاثة آلاف
سوط في ثلاثة أيام متوالية بمعدل ألف سوط في اليوم . وكانت عملاً
جروحه بالملح والفلفل امعاناً في تعذيبه كي يدل على أمواله المخبوءة ،
ولكنه مات دون أن يفعل مصراً على أن المال ماله ، وأنه ورثه عن أبيه .
وأن المهدي ما كان أخاً له حتى ينازعه تراثه

رابعاً

ذبح الثوار جميع التجار المصريين في كل أنحاء السودان مع وكلائهم
وعمالهم وذلك لسلب بضائعهم .

خامساً

ذبح كافة المصريين الذين كانوا يقيمون بمديرية بربر . ومن

عجب أن محمد الخير زعيم الثوار في تلك المديرية أمر بعدم التعرض للنساء
كأن تأييمهن وتيتيمهن دون هتك أعراضهن . وقد شكر له المؤرخون
هذا الضنيع باعتبار أن بعض الشر أهون من بعض .

سادسا

قتل من سكان الخرطوم في يوم سقوطها ٢٤٠٠٠ رجل وبضع
نساء . وفي رواية شقير بك ٣٦٠٠٠ (وهذا العدد أقرب الى الصحة لأنه
ذكر من ضمنه الجيش المدافع الذي قدرنا نحن ضحاياه يومئذ بثمانية
آلاف فقط) . وسببت ٣٥٠٠٠ فتاة وسيدة من كرائم وعقائل
المصريين - ولقد تحدثت الى الكثيرات من بقاياهن فأسمعتني من
أبناء ما ارتكب معهن من الفظائع والمنكرات ما يفري الكبد ويهد
المضد ..

سابعا

كان سكان حامية كسلا بعائلاتهم وأولادهم قبيل حصارها يزيدون
على الخمسين ألفا أكثرهم من المصريين فكانت البقية الباقية من الجميع
يوم سقوطها ٤٨٠٠ شخص .

ثامنا

كانت مدينة سنار أحفل مدن السودان بالمصريين بعد الخرطوم
فبلغ عددهم يوم سقوطها ثلاثة آلاف لا غير .

وهكذا كان الشأن في باقي الجهات

واقعد وقع الينا الدليل الذي لا ينقض ، ووقفنا على عظام الكارثة التي
أودت بحياة أولئك الأبرياء وفداحة الخطب الذي ألم بعصر بفقدهم وقعد
السودان معهم :-

ذكر المرحوم فوزى باشا في كتابه أن غوردون عميل
إحصاء رسمياً للمصريين المقيمين بالخرطوم قبيل سقوطها (وأنا أرجح
أن التقدير إنما كان لجميع المصريين المقيمين بالسودان لا بالخرطوم
وحدها) . فبلغوا مائتي ألف نفس . وأرسل تلك الإحصائية مع بعثة
استيوارت في سبتمبر سنة ١٨٨٤ . فلما سقطت الخرطوم ومات المهدي
أسر التغايشي ذات يوم أن يجتمع المصريون في صعيد واحد .
وكان يسميهم (فضلة سيف المهدي) . فاجتمعوا وبلغ عددهم يومئذ خمسة
آلاف من الرجال .

وفي اعتقادي أنه كان المجاعة المروعة التي حدثت في عهد الخليفة
(١٨٨٨ - ١٨٨٩) أثر يذكر في القضاء عليهم . فقد فتكت
بمئات الألوف من أهالي السودان أنفسهم ولا ريب أنها كانت بالمصريين
أفتك وأفدح .

ومن هذا يتضح للملأ أنه ليست هناك أدنى مبالغة في تقدير
الضحايا بربع مليون . على أننا لو تساهلنا إلى أبعد حدود التساهل
واقترضنا أن هذا العدد يشمل الجيش المقاتل ، لكانت النتيجة أن
خسارة مصر ربع مليون مقابل ١٤٠٠ إنكليزي - أستغفر الله - فإن
نصف هؤلاء أو أكثر كان من الهنود . فقد كانت جنود حملة الجنرال
جرام بسوا كن كلهم من أولئك الهنود التمساء .

وذلك غير من قتل من جيشنا في المدة من أول سنة ١٩٠٠ الى آخر سنة ١٩٢٤ في الفتن والقتال الداخلية التي أربت على المائة والعشرين في عصر العدالة الانكليزية وبسببها - وكان بعضها حروبا طاحنة لاحتركات صغيرة - وما العهد بمذبحة (ود حبوبة) بالكاملين على النيل الازرق ، وموقعة الكتفية المشهورة في سنة ١٩٠٨ ولا بثورة النوير والانواك في سنة ١٩١٢ يعيد .

ولعلني أوفق قريبا لاحصاء خسائرتنا وخسائرهم في هذا العهد اتعانا للبحث .

رجالنا ورجالهم

ولربما زعم الانكليز كمادتهم - أنهم يتنازون بفقد خمسة أوستة من أعلام رجالهم وكبار قوادم أمثال هكس باشا والكولونيل استيوارت وغوردون باشا وليتون بك (ولو أن هؤلاء كانوا في الواقع موظفين بالحكومة المصرية) والجنرالين ادل واستيوارت .

ورداً على هذا أذكر هنا أسماء حوالي مائتي شخص من أعلام رجالنا وكبار قوادنا (من رتبة بكباشي فافوق) غير من لم أعر على أسمائهم ممن استشهدوا أثناء الثورة . وأما ضحايا تعمير السودان من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٢٤ فلها أقطع من الحرب حيث الوحدات المصرية ذهبت طمحية الحيات وغيرها : -

القائمة						
موظف كبير	بکاشانی	سندھ	قائم مقام	امیرالای	لواء	الوقائع
			راشد بك ايم			واقعة راشد بك
	حسن رفيق افندي		محمد بك عثمان		يوسف باشا الشلال	واقعة الشلال
			علي بك لطفي			واقعة علي بك لطفي
محمد بك يس ناظر قسم كردقان	محمد القولي افندي » باشا حماد » محمود حسن » نظير			علي بك شريف	محمد سعيد باشا	سقوط الايضا

الوقت						
الوقائع	الزوار	امير الالى	قائمقام	سجسج	بكتاشى	موظف كبير
واقعة شيكان أو هكس	محمد علاء الدين باشا حسين مظهر باشا	سلیم عوفى بك السيد عبد القادر بك حسين فهمى بك عباس وهبى رجب صديق		عبد العزيز بك يحيى كامل خير الدين	شرف الدين الفندى على الطيرجى عبد فرج	المكتوب جوردجى بك حكيمباشى اعظم
وقائع دارفور			محمد توفيق المصرى بك بطل - بركات		محمود خليل الفندى محمد فهمى المصرى كاظم	
وقائع سكات وطوكى وسراكن		عبد الرزاق نظفى بك				

الوقت						الوقائع
موظف كبير	مكتباتي	مستحق	قائم مقام	أمير الأي	لواء	
الشيخ محمد موسى مفتي المحاكم الشرعية الشيخ محمد السقا شيخ القراء الشيخ حسين المجدي رئيس إدارة المدرسة الأميرية السيد فاهد شيخ السجادة الأحمدية أحمد بك جلاب مدير الخرطوم			مصطفى عصمت بك » محمد اسلام » ابراهيم لبيب » أحمد عبد الوهاب			تابع حصار الخرطوم وأم درمان وسقوطها
أحمد شوقي بك ساون المديرية		حسن سليمان بك			أحمد عفت باشا	سقوط ككلا

القتل					
موظف كبير	بعكاشى	سجق	قامقام	أمير لاي	لواء
احمد مكوار بك وكيل الديرة			حسن عثمان الكريلى بك		حسن صادق باشا
	مرجان افندى عبد الوهاب طلعت علي جهور افندي » » سالم خلاف		حامد محمد بك فضل المولى »	سليم مطربك	
					صالح الملك باشا فوج الله باشا
					سقوط سنار
					سقوط خط الاستواء
					في الاسر

تلكم أسماء من ذكروا في الكتب والوثائق التاريخية ومعظمهم من كبار القواد وأعظم الرجال كما أسلفت . ومن المؤكد أن هناك عشرات من رتبهم لم تذكر أسماءهم وأسدل عليهم الزمان ستار النسيان وذلكم غير المئات بل الألوف من صغار الضباط وعظماؤهم (من رتبة صاغقول أغاسي فانتحتها) فقد فقد من هؤلاء في واقعتي شيكان والتيب نحو الخمسمائة ضابط بفضل ارشاد وحسن قيادة الجزالين هيكس ويكر .

فلو فرضنا أن جملة من فقد من الضباط العظام — من رتبة صاغ فصاعداً — مائتان فقط لكان مجموع ما فقدته انكثرا بالنسبة لمصر : —

١ ½ في المائة من الجنود

٣ في المائة من القواد

صفر في المائة من الاهالى

وبهذه النسب الحقيرة يرفع الانكيز عقيرتهم مطالبين (بحق الفتح) ولا ريب عندى أن مجرد المقارنة — إن كانت تمت الى مقارنة من سبيل — يقضى قضاء أبديا على ذلك الادعاء الجريء الذى لم يذكر له التاريخ مثيلا .

ضح ايانا وضح اياهم من الاموال

أما فيما يتعلق بالاموال فلا سبيل الى المقارنة . فانك انما لم تخسر شيئاً في حين أن مصر قد خسرت كل شيء . — وبه — اذا يعترف الانكليز أنفسهم . — ومع ذلك فلتعالج الموضوع .

لا يمكن بطبيعة الحال احصاء ما أنفقت مصر من مال في سبيل تعمير السودان وعمدينه من عهد محمد علي حتى قيام الثورة المهدية . وانما يستطاع أن يقال اجمالاً إنها أقامت جميع المنشآت من مباني نخبة الى معسكرات ومصالح أميرية وجوامع ومدارس (ونذكر هنا أنها لم تضن على السودان بأكبر علمائها فبعثت برفاعة بك ناظرًا للمدرسة الخرطوم) وساعدت الاهالي على بناء دورهم بالطوب والاشخاب بدل اتخاذها من اللبن والغاب وجلود الحيوان . ومهدت الطرق الصحراوية ونظمت البريد ، وأدخلت زراعة القطن ، وأنشأت المطبعة الاميرية ، وفتحت السدود النيلية لتسهيل الملاحة صعداً في أعالي النيل . وفتحت الاصقاع النائية في بحر الغزال ودارفور ومنجلا وأوغندا وبلاد زنجبار وكفتها شر النخاسة وفضائع النخاسين ، ومدت أول سكة حديدية عرفها السودان فبلغت تكاليف خمسين ميلاً منها ٤٥٠ ألف جنيه دفعتها مصر عن طيب خاطر في عهد أشد ضائقة مالية عرفتها ، وأنشأت ترسانة كبرى لصنع البواخر والمراكب وتصليحها وقد بنيت فيها وابورات (بوردين وتل حوين والتوفيقية والمنصورة والفاسر والاسماعيلية)

وعباس وشبين والمسلمية والحسينية ونيانزا ومحمد علي والوزير والسلطان
والخديوي (وسواها ، وقد غرق منها ما غرق واستولى الثوار على
الباقى . أما وابور القاهرة فقد بنى فى عهد الثورة .

وقصارى القول أن مصر خلقت السودان خلقاً جديداً من
جميع النواحي .

وقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن نفقات السودان كانت تربو على إيراداته
طوال عهد الحكم المصرى وأنه كان يحتاج فى أغلب السنين الى مبلغ
يتراوح بين المليون والثلاثة لتغطية العجز — الامر الذى فكر من أجله
المغفور له سميد باشا فى ترك السودان لولا توسل أهله وإلحاحهم —
والذى ساقته انجلترا كأقوى حجة لتغلى مصر عن السودان .

فاذا فرضنا أنه كان يحتاج فى المتوسط الى مليون جنيه — سنوياً
لكانت جملة ما أتفق على تعميمه من عهد محمد علي حتى قيام الثورة المهدية
أكثر من ستين مليوناً من الجنيهات .

ولننظر الآن الى ما خسرت مصر فى ابان الثورة وبعدها : —

(١) — خسر جميع المصريين الذين كانوا بالسودان دون استثناء
كافة أموالهم وأمتعتهم وأملأهم وعقاراتهم وكان أكثرهم أغنياء — فلا
تقدر خسارتهم بأقل من عشرة ملايين من الجنيهات .

(٢) — استولى الثوار على جميع الاسلحة والذخائر والخزائن
الاميرية والاموال وكافة ممتلكات الحكومة ومنشئاتها فى ثلثي قرن من
الزمان بما لا يقدر ثمنه بما دون العشرين مليوناً .

- (٣) خسرت مصر تجارتها مع السودان زهاء العشرين عاما وكانت قيمة صادراته ١١ مليوناً من الجنيهات ووارداته نحو ثلث هذا المبلغ. وقد ردت الخسارة بمليونى جنيه سنوياً وجلتها حوالى أربعين مليوناً .
- (٤) أتفقت مصر ١١ مليون جنيه فى سبيل استرداد السودان
- (٥) بلغ مجموع ما أتفق على السودان من سنة ١٨٩٩ الى الآن كالاتى :-

جنيه — هـ

٥٣٢٣٦٩٦ ر.ق. القروض المعطاة من أجل الاعمال المتعلقة بنموال السودان من سنة ١٨٩٩ لغاية سنة ١٩١٤ م.

٥٣٥٣٢١٥ ر.ق. الاعانات الممنوحة سنوياً لسد عجز الإيرادات من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٢ م.

٣٤١٨٨٠٥ ر.ق. المصروفات العسكرية الخاصة بالسودان من سنة ١٩١٤ لغاية سنة ١٩٢٢ م.

١٥٠٠٠٠٠ ر.ق. مبلغ ما صرف على السودان فى ————— منى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ م.

٤٥٠٠٠٠٠ ر.ق. ما دفع للسودان من سنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٣٠ بواقع ٧٥٠ ألف جنيه سنوياً.

٢٠٠٩٥٧١٦ ر.ق. الج ————— لة

فجملة ما أنفق على السودان لا يمكن أن يقل بحال من الأحوال
عن مائة وخمسين مليوناً من الجنيهات دفعتها مصر من دم أبنائها مقابل
٧٩٨٨٠٢ من الجنيهات اضطرت انكثرا الى النزول عنها لمصر في فبراير
سنة ١٨٩٦ عند الشروع في حملة دنقلة .

فيكون ما خسره انكثرا بالنسبة لمصر من الاموال هو :
نصف في المائة

وتكون دعوى التعمير والنفقات قد انتهت بهذه المقارنة الصريحة
وتلك الارقام الناطقة .

(١) وإنا بطلبنا إرجاع السودان الى مصر نريد أن نجعله شريكاً له ما لنا وعليه ما علينا.

(من مذكرة الوفد المؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩)

(٧) لقد كان للمصريين قبيل احتلال
الانكليز السلطة التامة في السودان
ولكنهم أساءوا السياسة والإدارة
لدرجة اضطرت السودان الى
طردهم فقد كانوا دخلاء ظالمين .

(حديث المستر لويد جورج المنشور بالعدد ١٦٤٢٤)

من الاهرام الصادر في ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٠)

يحاول الانكليز أن يدخلوا في روع إخواننا السودانيين أننا نريد استعبادهم واستعمار بلادهم وهذا أمر لم يفكر فيه مصري على الإطلاق . ولم يدر في خلد أحد يوما ما ولا يجوز بحال من الاحوال أن يصدقه مواطنونا الاعزاء اللهم إلا اذا جاز لاهل الولايات المتحدة الجنوبية أن يصدقوا أن أهل الولايات الشمالية يتحكمون فيهم ويستغلون بلادهم أو يظن سكان بافاريا أن قطان بروسيا يتسلطون عليهم .

على أنى جازم بأن شيئاً من تلك المزاعم والأوهام لا يمكن أن
يجوز على عقول مواطنينا الأذكياء وهم يعلمون من التاريخ أن مديريات

السودان كانت ترجع في أغلب الاوقات الى مصر في شؤونها المباشرة دون تدخل الحكمدارية - شأنها في هذا شأن المديرية المصرية - وأكثر ما حصل هذا في عصرى سعيد واسماعيل ولم يبطل العمل به إلا عندما تولى الحكمدارية غوردون وبناء على إلحاحه تمهيداً لما حدث بعد ذلك من المصائب .

أنا لا أستطيع أن أنكر أنه قد حدثت بعض المظالم في السودان في العهد البائد . ولكن هذا العهد كان شؤماً علينا وعلى إخواننا سواء بسواء . فقد كان حكامنا وحكامهم (وأقصد المديريين ورجال الادارة من ظلام الاتراك يسومونا جميعاً سوء العذاب . وفي الوقت الذى كان يستعمل فيه (عقاب الهرة) في الجنوب كانت (الفلة والكراباج) هي العقوبة السائدة بالشمال . وكانت سبة (عبد) بالسودان تقابلها سبة (فلاح) في مصر . ولم يصعد السودان يعرف حكامداراً مصرياً صمياً من عهد محمد على فلا يمكن والحالة هذه أن تؤاخذ مصر بجريرة الماضى أياً كان نوع المظالم التى حدثت فيه لانها بريئة منها ولا يد لها فيها . هكذا دوناً في مذكرة الضباط التى تقدمت للوقد في سبتمبر سنة ١٩٢٠ .

ومع هذا لو أننا قارنا بين العهدين المصرى والانكليزى لكانت النتيجة في جانب مصر دون انكليزى فقد كانت للسودان في عهد الظلم (المصرى) مجلس شورى يتعقد في كل عام للنظر في شؤونه وكان أعضاؤه من خاصة أهله . يقابله اليوم مجلس الحاكم العام وأعضاؤه جميعاً من الانكليز ، وكانت المظالم التى تحدث هناك لاتصل الى مسامع مصر ولو اتصلت بها ما سكنت عنها بدليل أن محمد على ذهب بنفسه

الى السودان لرأب ماصدعه الدفتردار ولم يدع سبيلا لارضاء أهله إلا
سلكه .

ولما شك الناس فداحة الضرائب اسعيد باشا رفع أكثرها وأمر
بتخفيض الباقي ، وبلغ من فرط حلمه ورحمته أن أصدر عفواً شاملاً
عن خلفاء الملك عمر قاتل الامير الشهيد اسماعيل .

وبعجده أنهم ممتاز باشا وهو الحكمدار العام بالظلم والرشوة
أمرت مصر بسجنه بسجن الخراطوم والتحقيق معه فيما نسب اليه
ولم يشفع له سمو مركزه أو يحل دون ذلك . ولولا أن عاجله الموت
في سجنه لحوكم وحكم عليه جزاء وفاقا .

واقعد كان في البرلمان المصرى الاول عشرون نائبا عن السودان
مما يؤيد تأييداً قاطعاً شعور مصر من قديم بوحدة البلدين .

والسودان منذ تولى الانجليز إدارته لم يعرف من أبنائه مديراً
ولا وكيلًا ولا مفتشاً ولا ضابطاً عظيماً ولا موظفاً كبيراً حتى ولا
مأموراً .

أما في عهد الظلم (المصرى) فكان :-

الزير باشا وسليمان بك الزير وادريس بك ابتر و يوسف باشا
الشلالى مديرين على التوالي لبحر الغزال .

ثم كان :- الشلالى باشا وبعده بساطى بك مديرين لسنار .
والياس باشا أمير مديرًا لكردفان .
وحسين باشا خليفة مديرًا لبربر .
والطيب بك عبدالله مديرًا لقاشوده .
ومحمد بك خالد زقل مديرًا لدارة .
والنور بك عنقره مديرًا لكبكبيه .
والسعيد بك حسين وآدم بك عامر مديرين بمديريات دارفور .
واحمد باشا أبو سن ومحمود بك احمدانى واحمد بك جلاب .
مديرين بالعاقب للخرطوم .
وكان محمد بك الجزولى وكيلًا لمديرية الخرطوم .
واحمد بك مكوار وكيلًا لمديرية سنار .
وعمر بك العمرانى وكيلًا لمديرية بربر .
وكان على بك عمارة أبو سن مديرًا للجبارك .
ومحمد بك التلب رئيسًا لمجلس الاستئناف .
ومحمد بك خوجلى قاضيًا للخرطوم .
وعثمان بك حاج حامد قاضيًا لخط الاستواء .
والفكى (الفقيه) الشيخ الامين الضرير شيخًا للإسلام .
والبكوات : أبوبكر الجركوك والخليفة ود أرباب ومحمد عبد الرحمن

ود البشير وادريس النور وعبدالرحمن بان النقا
والفضل ابراهيم وغيرهم أعضاء بمجلس الاستئناف .
وكان بساطى بك المحسى باشكاتباً لمديرية الخرطوم .
والعوضى بك المرضى باشكاتباً لمديرية كسلا .
وحسن افندى الشريف معاوناً لمديرية بربر .
ومحمد افندى النصرى معاوناً لمديرية بحر الغزال . . . الخ
وكان من بين القواد العظام :-

الماظ باشا . و آدم باشا . وفرج الله باشا . وفرج الزينى
باشا . و يوسف الشلالى باشا . و صالح الملك باشا . و السعيد حسين
باشا . و حسن ابراهيم باشا . و محمد على حسين باشا . و خشم
الموس باشا . و النور بك محمد . و سرور بك بهجت . و بنحيت بك
بطراكى . و محمد بك السيد . و سليم بك مطر . و النور بك
عنقرة . و فرج بك عزازى . وعشرات سوام .

وكان جميع عمدة القبائل ونظار الاقسام وخاصة أهل البلاد وكبار
الموظفين المدنيين يعملون الرتب والنياشين أسوة بالمصريين بل ربما زاد
عدد حاملها من الاهليين على عددهم من أعيان الفلاحين بمصر
وأذكر منهم على سبيل المثال :-

بشير بك ود عقيد عميد الجعليين . وعبد القادر باشا ود
الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنار وأول معاون سودانى
للحكمدارية .

وادريس بك ود عدلان زعيم القونج ، واحمد بك ابو جن عمدة
قبيلة الحدة ، وعلى بك البخيت ناظر بني عامر ، وعبد القادر بك ايله
عمدة الخلاقة ، ومحمد موسى زعيم الهدندوة ، واحمد بك دفع الله
عين أعيان كردفان ، ومحمد بك ياسين ناظر قسم كردفان ، واحمد
باشا أبو سن عمدة الشكرية ، وابنه عوض الكريم باشا ، وحفيده
على بك ، وكيكوم بك ملك الشلوك ، وعلى بك سالم عمدة
الكبايش ، وحسن بك أم كادوك عمدة البرنو ، وصالح بك
شنتة ناظر القلابات . ومحمود بك زايد عمدة الضباينة ، وبشارى بك
بكير عمدة بنى هلبة ، والارباب بك ود دفع الله ، وعلى بك الخبير
وابراهيم بك البردنى ، ومحمد باشا ابوزيد ، ومحمد بك البلالى ، وقناوى
بك ابو عمورى ، وصالح بك خليفه ، ومحمد باشا امام الشهير بالخبير
وغيرهم ممن يعدون بالثقات .

وكان هؤلاء وأمتلهم من العمد والنظار والزعماء ومن أسلفت
من كبار الضباط والموظفين القول الفصل فى شؤون بلادهم .
بل كان من الضباط والجنود السودانيين من اشترك اشترا كافعلياً فى
الثورة العرايية لان مصر لم تكن تفرق بين المصرى والسودانى ولا بين
الابيض والاسود من أبنائها .

فما أن لعبت أصبح الانكاز فى إدارة البلاد وآلت ولاية الحكم
الى غوردون المرة الاولى فى عصر اسماعيل . بناء على رجاء ولى عهد
انكلترا ووساطته . أقصى المصريين والسودانيين عن الوظائف الكبرى
وكف أيديهم عن ادارته ونصب بدلهم من الاجانب .

جسى باشا، وجيكار باشا، والدكتور شنيتزر (أمين باشا)، وفردريك روسى، وسلاطين باشا، ولبتون بك، وراليا بك، ومسجر باشا، وتشرمىسيد باشا، ومارنوا بك، ودى كوتلجن، وكوستي بك، وميسون بك، ومليانو بك، وركوبولى بك، والدكتور زوربخين بك، ومسداليه بك، وامليانى داتزنجير، وبرجوف بك، وجوتقرث روث، وجوست جويزى، وسوام.

واتخذ منهم مديرين ومحافظين ووكلاء وأطباء ومفتشين وكتبة ومعاونين. وهم ماين انكليزى وإيطالى ونسوى وألمانى وزوى وما لا أعرف أيضاً.

فاختلت ادارة السودان وكان لابد من اختلال العالم كله لو قبضت على أزمة الحكم فيه عصابة أمم من الخليط الذى ذكرت، فبالك والسودان لا يعرف هؤلاء ولا هم يعرفونه !!

واذا كان السودانيون قد قموا من سعيد باشا تعيين أراكيل بك حاكماً عليهم - وهو شرق منلهم - ولولا حكمة أراكيل وحسن تصرفه لقامت الثورة. فكيف لا يتوردون وقد أصبح الحكام بأجمعهم من الاجانب الذين لا يفقهون لغة البلاد ولا يفهمون دينها ولا يعقلون شيئاً من ماداتها وأخلاق أهلها.

فهؤلاء هم أهم أسباب الثورة وفى أعناقهم ضحاياها وعلى رؤوسهم تنصب دماء شهدائها من الجانبين المصرى والسودانى.

عهد الثورات

والثورة المهدية

كان السودان وديعاً هادئاً لا يكاد أحد من سكانه يتوهم الخروج على أولى الامر أو تحدثه نفسه بالجروح الى الثورة . فاعتم أن حل به (لودنس القرن التاسع عشر) وأعنى به غوردون . باسم القضاء على تجارة الرقيق حتى قام ينكل بالجلابة وآلهم وذوهم وطفق يقضى عليهم بالاعدام ويصادر أموالهم ويستصنى أملاكهم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر . البرىء منهم بجريرة المذب . فى الوقت الذى كان يعلم فيه حق العلم أن أبناء جلدته بالمستعمرات الانكليزية يأخذون امثال هؤلاء بالمصادرة واللين متوخين فى ذلك كل ما أوتوا من دراية وخبرة بطبائع الامم . فكان هذا العمل من جانبه هو ومن عددت من أعوانه أول ما أثار علينا نائرة السودانين إذا أقنوا أن مصر قد آثرت أن تستعين بأولئك الاجانب (الكفار) للانتقام منهم والعبث بدينهم . وقد قيل إن هذا كان من الاسباب الرئيسية التى دعت (عثمان دقنة) أخطر ثوار السودان وأشد أنصار المهدية وأعظم قواد المهدي الى الاندماج فى الثورة والقيام بنصرتها بكل ما أوتى من جلد وجاعة ودهاء لأن مقتشاً من عمال غوردون صادر أمواله ظالماً وعدواناً ، وكانت تبلغ زهاء العشرة آلاف جنيهه لمجرد الاشتباه فى اشتغاله بتجارة الرقيق . فأحفظه ذلك على الحكومة وما برح يتربص بها الدوائر حتى قام المهدي فنصره بكل قواه

وانتهز جماعة الموتورين والاشقياء تلك الفرصة وقاموا بالثورة تلو
الثورة فقام سليمان الزبير في بحر الغزال وخلفه راجح . وثار أهل دارفور
بزعمامة أميرهم هرون الرشيد . كما ثار أهل كردفان برئاسة الصباحي .
ولم يكتف لورنس القرن التاسع عشر بأذكاء نار كل تلك الثورات .
بل قام يناوئ الأحياء ويستثيرهم للخلاف مع مصر ففشلت دسائسه
ودارت عليه الدائرة ولم يجد بداً من الاستقالة ورجع الى قومه ملوماً
محسوراً . وأبى الاقدار إلا أن تجعله وقوداً للنار التي أشعلها إذ عاد الى
السودان لاجلاء المصريين عنه فلقى حتفه فيه .

وانتهز المهدي بدوره تلك الفرصة النادرة وقام يدعو قومه
للتخلص من تلك الادارة المجيبة ولم يجد بداً من التمسك بالدين ليقينه
بأنه الوتر الحساس في البلاد .

تطور الشعور تطوراً غريباً . فبعد أن كان النسل المحبوب لدى
عامة أهل السودان (الترك لبسونا القميص وعلمونا الحديث) صاروا
يتناقسون في إيراد الامثال الدالة على الحفيظة والنقمة من المصريين
والتحرق لقتالهم .

فبينما ترى فريقاً يقول : (هواي هواي أسير للمهدي في قدير)
إذا بك ترى الثاني ينشد (بشاير الخير جات لنا - واليوم ظهر
مهدينا) بينما الثالث يقسم (وحاة قولي صواب - خنق قيركم
ضاب) فيردد الرابع (ألف في تربة ولا قرش خردة في طلبية) .
ويترنم الخامس بقوله (ود الريف شين جابه حربه وكوكاب
في جمابه) ... الخ

استعرت نيران الثورة إذن . وكانت ولاية الحكم قد آلت
بعد استقالة غوردون الى رجل هو أضعف الناس طراً
لا الولاية فقط . ذلكم هو رؤوف باشا الذى وصفته الجمعية الوطنية
المصرية السودانية بالخرطوم أليق وصف وأصدقه إذ وجهت اليه
منشوراً عنوانه : (كنا نحسبك رؤوفاً فأينك خروفاً) . والحق أنه
كان فى ضعف العلاج .

ذهبت طائفة من المؤرخين الى أنه بعدما أخطأ الخطيئة
الأولى التى ترتب عليها اشتغال الثورة وبلوغها أشدها ، وهى إرساله
فصيلتين (بلوكين) من الجنود النظامية تحت إمرة ضابطين الى
جزيرة آبا وإساراه الى كل منهما بأنه قائد الحملة وتفهم أبى السعود
العقاد بك معاون الحكمدارية فى نفس الوقت أنه القائد الأعلى
لكليهما . الأمر الذى دعا الى تنازع الرئاسة فالفشل فذهاب الريح
وتسبب عن ذلك أول هزيمة منى بها الجيش المصرى فى تاريخه
الشرف بالسودان . كما نجم عنه علو كلمة المهدي وارتقاع شأنه
وبعد صيته .

على أثر تلك النكبة عقد مجلساً استشارياً من خاصة أهل
الخرطوم وذوى الرأي فيها فقال له الشيخ شاكر الرئيس مفتى السودان
يومئذ (يحسن بعولاي الحكمدار أن يتولى القيادة بنفسه ليستأصل
الشر من جذوره ويقضى على الثورة فى مهدها قبل أن تستفحل) .
فرد عليه قائلاً (خست أيتها الشيخ أتريد أن ترمى زوجي وتيتم
أطفالي) ؟

هذا هو الحاكم الشجاع والقائد الباسل الذي لم يؤثر عنه طوال حياته إلا ترؤسه المجلس العسكرى العالى الذى انعقد لمحاكمة عرابى باشا والحكم عليه بالاعدام .

فلما توالى المهزائم شعر العراقيون بخطورة الثورة وعلموها بما كانت من جبن رؤوف وسوء تصرفه فبعثوا بخير القواد الى هناك رغم المحنة التى كانوا يجتازونها فى ذلك الوقت . وذهب البطل عبد القادر باشا حلى فقبض على ناصية الحال وأمن الخرطوم والجزيرة بعدما أوشكتا على السقوط وسهد المهدي وأقضى مضجعه ونكل بأنصاره الواحد اثر الآخر حتى جعله يتوسل الى المولى فى كل صلاة بقوله : (اللهم يا قوى يا قادر ا كفنا عبد القادر) .

وبعث القائد المجاهد فى طلب خمسة عشر ألفاً من الجنود المصرية ليضرب بهم المهدي الضربة القاضية ويدل دولته بالسودان وكان الأمر قد آل الى الانكليز . فأبى عليه السياسة الانكليزية ذلك ولم تكتف برفض طلبه بل أهملته لدى الخديو توفيق وحكومته الضعيفة بالجنوح الى الاستقلال . فأقصى عن وظيفته وولى علاء الدين باشا مكانه وأرسلت اليه ١٢٩٠٠ جندي من فلول جيش عرابى ليوردها هكس موارد البوار والدمار . وأبى هكس إلا أن تكون له القيادة أو يستقيل فنزلت مصر المهيضة على ارادته وأقرت جمعه قائداً أول وعلاء الدين قائداً ثانياً وضربت بنصائح عبد القادر باشا البطل المجرب عرض الافق فكانت النتيجة المعروفة التى تنشق لها مرارة كل ذى قلب .

ورأت السياسة الاستعمارية أن تم النكبة فاستقدمت غوردون
وبعثت به إلى الخرطوم لاجلاء المصريين الباقين بالسودان ظاهراً
ولافتائهم والقضاء عليهم في الواقع .

ولاقى المصريون عسكريين ومدنيين الأمرين على يديه طول
مدة الحصار . ومن الغريب أنه في الوقت الذي كان الموت يختطف منهم
بالآلاف . وفي الوقت الذي قبلوا فيه عن طيب خاطر أن تكون جراية
الجندي المصري مائة درهم من الذرة في حين أن زميله من
السودانيين والأتراك والمغاربة كانت جرايته مائة وخمسين . وفي الوقت
الذي نفدت فيه المؤونة وقنعوا بأكل الصمغ والجمار والجيف والجلود .
بينما وجد لدى قائدهم الذي قيل عنه كذباً إنه شارك أبأس
جنوده شطف العيش ومرارة الجوع . في يوم قتله (طبق به بيض
مقل بالسمن وبجانبه علبه من اللحوم في وسطها شوكة وقطعة
من السكر في طبق آخر) والذي قال فوزى باشا إنه كان يجده
في كل يومين أو ثلاثة دجاجة هزيلة أو زوجاً من الحمام الطاعن
في السن .

أقول من الغريب أنه في هذا الوقت . وبالرغم عن الطاعة العمياء
والصبر الجميل والقناعة المدهشة . صفات الجندي المصري من قديم
الزمان . كتب القائد الشريف الوفي المخلص إلى اللورد ولسلي قائد
حملة إيقاده في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٤ كتاباً يقول فيه (لاندعوا
العساكر المصرية تأتي إلى هنا . تسلموا قيادة الواورات منهم وأخرجوهم
منها فانه لا قائد فيهم) . وهو يقصد بهذا جنود بعثة

نصحي باشا الذي نجح حيث فشل استيوارت الانكليزي .
ولكن الحملة . لأمر ما . لم تنقذه فوات ومات معه أولئك
الجنود البواسل (الذين لافائدة فيهم) بعد ما دافعوا عنه وعن
الخرطوم أعظم دفاع ولم ينج منهم إلا طويل العمر طويل أيام البؤس
والشقاء والويل والضراء .

سقطت الخرطوم وبسقوطها سقط السودان كله . بقطع النظر عن
حاميتي كسلا وسنار . فاطمأنت السياسة الانكليزية وراحت تبیت الغدر
من جديد للمضى في تديراتها .

وحدث ما حدث بعد ذلك مما هو معروف ومشهور . وأعيد فتح
السودان بجنود مصرية وأموال مصرية ثم كانت اتفاقية سنة ١٨٩٩ م
المشثومة . فاذا تم بالسودان من يومها الى الآن ولم يكن بمال مصر
وأیدی المصريين — ؟ ؟ ؟

ادارة السـودان

من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٢٤

أنفقت مصر ٣٥٠٠٠٠٠ جنيه لد السكك الحديدية .
تلك السكك التي قال عنها أحد الضباط الذين عملوا في انشائها إنه
توجد تحت كل شبر منها جثة جندي مصرى . وبلغ مجموع ما أنفق في
مبيل استعادة السودان ١١ مليوناً من الجنيهات وبلغت تكاليف ميناء
بور سودان مليوناً ومثل ذلك لد سككها الحديدية من العظيرة اليها .

وقامت مصلحة واحدة . هي مصلحة الاشغال العسكرية . يعمل
المنشآت التالية في مدينة الخرطوم وحدها في ربع قرن من الزمان .
(حديث صاحب السعادة اللواء محمد لييب الشاهد باشا المنشور بالعدد
٨٣ من الدنيا المصورة الصادرة بتاريخ ٢٧ يوليه سنة ١٩٣٠) :-

سراى الحاكم العام . دواوين المالية والحرية والحقانية والداخلية
والزراعة والبريد والتلغراف . ومساكن لكبار موظفيها (وكلهم
من الانكليز) . مكاتب تسجيل الاراضى . مخازن مصلحة الصحة .
الطبعة الاميرية . قشلاقات سعيد واسماعيل وتوفيق وعباس بضواحي
الخرطوم . ثلاثة قشلاقات كبرى بالخرطوم بحرى للطوبجية . خمسة
قشلاقات للانكليز . مساكن لضباطهم . مخازن الاسلحة والمهمات
والجبنخانة والبارود . طاية الدفاع الكبرى . مخازن المهمات
والورش . قشلاق قسم الاشغال العسكرية . ورش ومخازن
قسم الاشغال الملكية . السجن العموى . كلية غوردون . جامع

الخرطوم . مساكن لصف الضباط الانكليز . مخازن تعيينات الجيش
المصرى . مخازن وورش مصلحة وابورات النيل والمراكب . رصيف
أمام مدينة الخرطوم . مستشفى الجيش . مديرية الخرطوم . مساكن
لكبار موظفيها . ادارة المصلحة البيطرية ومستشفاهها . قشلاقات البيادة
بأم درمان . قشلاق البيادة الراكبة .

ذلك ماتم في الخرطوم وحدها . فما بالك بما أنشئ في جميع الانحاء
الاخري وعلى الاخص بحلفا وأبي حمد والعطيرة وشندى وخور شمبات
وواد مدني وكسلا والقضارف وسواكن وبورسودان والايض
والنهود وبارا والدلنج وتالودي والدويم والتوفيكية والسوبات والبيبور
وبلاد دارفور وبحر الغزال ومنجلا ؟

لقد كان للضباط والموظفين الانكليز في كل جهة من هذه أحياء
مستقلة قائمة بذاتها في أجل البقاع ملائ بالدور والقصور محفوفة بالحدائق
النضرة دونها قصور الزمالك (وفلات) المعادى .

وبينما يربط الجنود البريطانيون بالخرطوم وبعض الحواضر
ويستمتعون بسكنى أجل الاحياء وأرقى المنازل ولهم أطيب العيش
وأسعد الحياة حين يريحون وحين يسرحون . كان جنود أورطة السكة
الحديدية وهي أكبر أورط الجيش المصرى يقلسون شظف العيش وم
الحياة في السهر على صيانة تلك السكك وتعهدها بالاصلاح كلما دمرتها
السيول أو جرفت بها الرياح أو غمرتها الرمال متحملين في ذلك كل اعباء
العمل المظني الشاق في حمارة القيظ وزمهرير البرد بين عصف الزوابع

وقصف الرعود وويلات (الهبوب) .

وكان اخوانهم من جنود باقي الاورط يقومون في الحين بعد الحين بانهم ساد الحركات الثورية الداخلية التي زادت على المائة والعشرين حتى ابعاد الجيش المصرى عن السودان . وكان عليها الغرم دائماً . والملاذرة الانكليزية (حكومة السودان) الغرم على كل حال .

أما عن السياسة الانكليزية في ادارة السودان فحدث ولا حرج عن طرائق الاستعمار وسبل الاستغلال وضروب الخديعة والختال . وحسبك أن تطالع فيما يلى على بضع فقرات من كتب بعثت بها الى صديق لى فى سنتى ١٩٢٣ و ١٩٢٤ طلب الى أن أعرفه عن الحالة فى السودان وكيفية ادارته :-

١ — من كتاب

قد نظان أن معلوماتى محدودة لا تفي لا أجوب أنحاء السودان فلا أستطيع أن أطرفك بوصف القليل من مختلف المناظر والاصقاع ولا الكثير من العوائد والطباع . وهذا صحيح من هذه الوجهة فقط ، أما من من وجهة آثار السياسة الانكليزية فى البلاد وميول أهلها وذلك ما يهمك ويهم مصر والمصريين . فاني أستطيع أن أحدثك عن البلاد من أقصاها الى أقصاها اعتماداً على أن الابيض التي أقيم بها ليست نالئة مدائن السودان بعداخرطوم وأم درمان فحسب . بل على كونها الحد الفاصل بين المدينة

والهمجية وجماع مختلف القبائل العربية والزنجية وطريق القوافل الناهية والآية من دارفور وجبال النوبة وبحر الغزال وحاضرة أكبرا المديريات عمرانا وأعظمها شأنًا . والعاصمة الاولى للمهدية في أنضر أيامها وأزهر أوقاتها . وفوق ذلك . وأسفاه . أوسع مقبرة ضمت رفات أولئك الابطال الشهداء الذين رووا رمال صحراوات كردد فان بدمائهم الزكية تفانيًا في الدفاع عن علم مصرنا المحبوبة الذي طوى هناك لآخر مرة في موقعة شيكان على بعد مرحلتين من هنا في مأساة هكس المشهورة . ولربما أحدثك عنها قريبًا فقد وعدني أحد الاعيان بأن يريني بقايا عظام قوى التي لم يعن أحد بدفنها حتى يومنا هذا .

فأنت ترى هنا . في أسواق الايض . من الاعراب البقارى والجعلى والشايق والجميعاني والجوامعي والزيقاني الى جانب اخوانهم من عبيد النوبة وبحر الغزال والجهات الامتوائية وأشباههم من الفلانة والتكرانة والفوراويين (آل دارفور) والبرقاويين وسواهم من الاحباش والمولدين . ونرى الجميع على اختلاف اجناسهم وتعدد صفاتهم وتبليبل ألسنتهم والاعراب منهم على الاخص . وهم العنصر السائد بكرددان . يتدققون من كل الآفاق على الايض في زمن الخريف لتصريف بضاعتهم من الدواجن والالبان وما اليها وابتضاع حاجاتهم من الشاي والسكر أولا وقبل كل شيء فالملابس ونحوها من ضروريات الحياة . وهم في أثناء ذلك يختلطون بنا معشر المصريين لبيع تجارتهم .

ولا مندوحة لمنلى ممن وقفوا أنفسهم على خدمة الوطن
وانتهاز كل فرصة لرفع شأنه ومحاولة إيصال النفع اليه بكل الطرق
الممكنة من الاحتكاك بكل هؤلاء والتفاهم معهم للوقوف على آرائهم
وتعرف سرائرهم . ومع أنك تستطيع أن تقنع نفسك بأنه من أيسر
الامور لديك أن تستطلع أخص خصائص نفسية أعرابى ساذج من
هؤلاء بقدح من الشاي وقطعة من السكر فانك متى دخلت معه
في صميم الموضوع وأدرك بعض غرضك بذكائه الفطرى ألقىته
يراوغاك ويستعمل معك كل ما أوتى من ضروب المكر والدهاء
ووجدت نفسك أمام مشكلة عويصة الحل وأنت ما برحت بعلمك
ومدنيته أعجز من أن تقف على سريرة بقارى أبله .

إلى ورنى يا صديقى هذا هو الواقع ، فبشئ من الاكرام
البسيط الذى ما جاوز قدحاً من الشاي وبعض المشاشة استطعت
من أسايح أنت اتباع من أعرابى عشرين دجاجة بخمسة عشر قرشاً
وكان قد قبل اثني عشر قرشاً فقط وأصبحت لديه من أحب عملائه .
ومنذ أيام قليلة أبى كل الالباء أن يذكر لى شيئاً من تاريخه فى جيش
المهدية وحقيقة عواطف قبيلته نحو المصريين مع وعدى إياه باعطائه أقة
من السكر ورطلا من الشاي إلا إذا أقسمت له على القرآن الكريم بأننى
آمن بمهديهم إيماناً حقيقياً .

لهذا لا يعلم إلا الله وحده كم ألاقى فى سبيلى من المشقة
والجمل بل من الهزء والسخرية ، ولكن كل شئ يحتمل فى سبيل
مصر .

٢ - من كتاب ثان

يؤسفنى أن أصارحك بأنى أشعر هنا بمرارة الغربة وألم
الاغتراب ، وسيدهشك هذا القول منى وسوف تقول يا أسفا على
من يرى من حق مصر أن تسترجع أوغندا فوق زيلع وهرر
وبربرة ومصوع . ولكن دهشتك ستزول حتما إن أنت علمت أننا
لا نقيم فى السودان المصرى بل فى مستعمرة انكليزية أظهر
ظواهرها صلف الحاكمين وتفوق المحكومين لا من هؤلاء وإنما
منا نحن المصريين .

ولقد حاولت أن أقف على سر هذا الشعور الغريب ففهمت أن
منشأه الاعتقاد . الخاطيء أو الصحيح . بأننا أداة لتمكين
المستعمرين من رقاب المستعمرين . وآية ذلك عندم أنه كلما هم السودانيون
بخلع نير الانكليز أصلتهم النيران أيد مصرية ودؤوس انكليزية .
وقد حدث هذا أكثر من مائة وعشرين مرة فى بحر الخمسة
والعشرين عاما الفائتة .

سألت منذ بضعة أيام سودانياً نابهاً من الاعيان اعتدت
أن أحياه فى طريق الى عملى كلما رأيتة جالسا مع ضيفانه أمام داره
ولاحظت أنه يتفرد أحيانا بالرد على تحيتى دون جلسائه . فى حين
أن بعضهم ينظر إلى بالنظار الشذر وأكاد أتبين الجفوة والبغضاء
فى عينيه فأكاد بدورى أميز من الغيظ . قلت (أما يعرف
جلساؤك قول الله تعالى - وإذا حيئتم بتحية - الآية) ؟

قال يعرفونها كما يعرفون أنفسهم . قلت فما بالهم لا يردون تحيتي وإن ردها البعض فبفتور وجفاء .

قال : أما الذين لا يردون فيعتقـدون أنك (كافر) كقومك لأن العامة يفهمون أن جيهـح الترك وأولاد الريف كفار لأنهم استنصروا بالغوردون وأهله في حكمهم . وأما الذين يردون فقد رآك بعضهم تصلى في الجامع فعـلم أنك مسلم وسمـع من نابي قومنا من أصدقائي وأصدقائك ثناء عليك . والحق أنه جميعاً نعتقد أنكم أصل بلائنا وسبب شقائنا . فلو كفيتمونا جندكم لاستطعنا أن نجلى هؤلاء الكفرة . ويعنى الانـكليز . عن بلادنا ضرباً بالعصى والسياط . وفوق هذا فإن الاغلبية تعتقد أنكم لا تحيونا إلا رغباً أو رهباً كما يلقي الفتات الى الكلاب الضالة إما تقرباً اليها أو خوفاً منها . فأنتم تحتقرونا ونحن نحتويكم .

٣ - من كتاب ثالث

استأثر الانكليز بجميع الوظائف العسكرية والادارية الكبرى ولم يتركوا للمصريين ولا للسودانيين شيئاً يذكر . فهناك قواد الجيش والحاكم العام وأركان حربه وكل أياديه وألسنته وجميع حاشيته وبطلاته . وهنا لك السكرتير المالى والسكرتير القضائى ومدير المخابرات ومديرو جميع الادارات ورؤساء كافة المصالح ومديرو سائر المديریات ووكلاؤهم . كل هؤلاء من الانكليز .

وفوق ذلك فإن اسكل مركز مفتشاً ولبعضها اثنين أو أكثر

منهم أيضاً والى جانب هؤلاء وكيل مفتش ومأمور ونائب مأمور مصريون فى بعض المديریات ولا فیها كلها .

أما وظيفة وكيل مفتش التى يشغلها فى القلیل ضابط مصرى برتبة بكباشى فلا أدرى ماهیتها الى الآن وكل ما استطعت أن أعرفه عن عمل أحدهم أنه كان يقوم بقوزیع السكر على التجار .

ولتعلم أن السكر وزیت البترول (الغاز) وبعض المواد الهامة الاخرى تحتكرها الحكومة والسعر الحالى (فى سنة ١٩٢٣) ثلاثة عشر قرشاً صحيحاً لأقة السكر واثنان وأربعون لصفیحة زیت البترول . وقد اتصل بى أن هؤلاء الوكلاء سلطة قاض من الدرجة الثانية (الفصل فى القضايا العبدیة الالهیة والغرامة الى خمسة جنیهات) .

ولیس بى من حاجة الى القول بأن أحكامهم یضرب بها عرض الحائط متى رأت السیاسة الانكیزیة حاجة الى ذلك . وأذكر والشئ بالشئ یدكر . أن قائمقام مصریاً معروفاً هو الآن برتبة لواء كان الى سنة ١٩٢١ یعمل كوكیل مفتش تحت رئاسة مفتش انكیزی برتبة بكباشى ، فلما ترقى للمصرى الى رتبة أمیرالای ترقى رئیسہ الى رتبة قائمقام ، ولما ترقى الوکیل الى رتبة لواء أصبحت المسألة مكشوفة ومنتقدة فأوجدوا لها حلاً بدیعاً وذلك بجعل وظيفة المفتش ملكیة .

أما وظيفة المأمور فأشبهه شئ بوظيفة معاون الادارة عندنا

أى محقق ادارى . إلا أن مأمورينا هنا يضرب بتحقيقاتهم عرض الحائط أيضاً متى رأت السياسة الانكليزية لزوماً لذلك .

وقد رؤى أخيراً تنصيب مأمورين ووكلاء من السودانيين . وهى سياسة ظاهرها العدل وباطنها الخبث . معناها السطحي إحلال الوطنيين محل (الاجانب) وحقيقتهم — خلق النفور بين المصريين والسودانيين . فهم لا يضعون فى هذه المناصب أبناء الأسر والقبائل العربية المعروفة وإنما ينصبون الزنوج وأشباه الزنوج ممن لم ينالوا أى قسط من التعليم والتدريب لأن معظمهم من خدم وحشم كبار الموظفين الانكليز . ولا ريب أن عقلية هؤلاء لا يمكن أن تتفق هى وعقلية الضباط المصريين فيحصل الخلاف والشقاق ويعقبهما التحاكم الى المفتش أو المدير الانكليزى ويتشيع هذا أو ذاك للسودانى دائماً . فيورث تشيعه الضغينة والحقد فى نفس المتحاكين . وهكذا قدر فى برنامج السياسة البريطانية أن ييغضنا من السودانيين الحاكم والمحكوم .

ونفس سياسة وضع المأمورين من المصريين ذات معان . فالأمور ومساعدوه منوط بهم تحصيل العشور ، وفى هذا الوقت يمنحون أوسع السلطات فيضربون ويجلدون ويعذبون ويسجنون ويطرقون كل السبل لتأدية واجبهم فيضج الاهالى بالشكوى للمفتشين والمديرين ويتنصل هؤلاء من التبعة . وقد يوبخ الشكو فى حقه علناً من نفس أمره باتخاذاته الاجراءات القاسية . ويعفى المتأخرون ويطلق سراح المسجونين ويستعطف المعذبون والمهانون ويسر اليهم

أن هكذا يحكم المصريون . فيدعون للانجليز بالخير وويل للمصريين .
ومما يؤسف له أشد الاسف أن أغلبية المأمورين المصريين تتحمل
هذه التبعات الشائنة راضية صاغرة وما سمعت أن أحداً منهم أخذته
العزة الوطنية والحمية المصرية فوق موقف الالباء والشمم وأظهر بعض
مانقضى به الشهامة العسكرية . اللهم إلا الضابط الوطني العامل اليوزباشى
(صاغ الآن) على افندى موسى مذ كان نائباً للمأمور الابيض وآخرون
لا يكادون يعرفون لأنهم أنصاف شجعان .

٤ - من كتاب رابع

أريد أن أدلك على شر مما ذكرته لك فى كتي السابقة ؟ ؟ ؟
إذن أقسم لك أن أصـديق ما يوصف به السودان انه بلاد
الاتقسام . بلاد الشقاق والنفاق . كما سى العراق قديماً الامام على
كرم الله وجهه .

فهناك اتقسام فى صفوف الضباط واتقسام فى صفوف الموظفين
واتقسام فى صفوف الاهالى واتقسام فى صفوف القبائل واتقسام
فى صفوف العشائر واتقسام فى كل شئ واتقسام فى كل زمان
واتقسام فى كل مكان .

فالشقاق سائد بين الضباط المصريين والضباط السودانيين
ومستحكم بين سائر الضباط والموظفين المدنيين .
وهناك شقاق بين الموظفين أنفسهم . فلا تكاد ترى كاتباً يتفق

مع مترجم ، وهناك شقاق آخر بين موظفي الحكومة المصرية وموظفي حكومة السودان وشقاق أكبر بين العرب والزنج . وشقاق عام بين كل قبيلة وأختها . فسياسة (فرق تسد) ظاهرة للعيان . وهذا هو السر في أن كلمة انكارتا هي العليا وكلمتنا هي السفلى . وحق والله للانجليز أن يترغوا دائماً بنشيدهم القوي (احكمي يا بريطانيا) .

٥ - من كتاب خامس

سمعت طرقاً من أنواع العدالة الانكليزية في ادارة السودان ليس لانكارتا بعدها أن تعيرنا بالظلم :-

(ا) أتعرف التحية التي فرضها أعدل مستعمرى العالم على عبيد النوبة الذين اشتهروا بشدة البأس وقوة المراس ؟
يجب على النسوبي متى رأى رجلاً من رجال الحكومة أن يقف في الحال ويرى سلاحه على الارض ويرفع يديه الى مافوق رأسه ويخرج لسانه . ومعنى هذا أنه سلم سلاحه وأصبح مجرداً وكف عن السب والشتن وقدم فروض العبودية والخضوع .
أفكان يفعل هذا أقسى الحكام الاتراك في انفس ايام جبروهم ؟
كلا ورب الكعبة .

(ب) للمفتش الانجليزى أن يفرض الغرامة التي يراها ومن ادوع انواع العدالة . ان بعض هؤلاء المفتشين يفرضونها على

الظالم والمظلوم والشهود أيضا .

(ج) مفروض على الاهالى والموظفين المدنيين تسمية كل موظف انجليزى يقابلونه فى طريقهم ويجب على كل راكب بالغا ما يبلغ شأنه أن يترجل متى رأى أحداً منهم .

(د) نصبوا من الوطنيين عمداً ونظاراً على القصرى والحلال وأعطوا لصنائعهم من أولئك من السلطان فوق ما كان للمالك بمصر . وشر ما سمعته أن للبعض أن يفرض الغرامة على من يشاء من رعاياه ويأخذها لنفسه . وأغرب ما علمته أن أحدهم استقام له الامر فى حلتته وانقطع دابر الشكايا من فرط ظلمه فضاقت به الخيل واحتاج الى المال فأتى بأحد المغضوب عليهم من قومه وقال له : بلغني أنك قد أسأت فيما مضى الى المرحوم فلان وعليك الآن أن تدفع غرامة قدرها كذا . فجن جنون الرجل وذهب يشكو الى المفتش البريطانى العادل فكان جوابه أن فلاناً ثقة ولا سبيل الى تكذيبه وأجبره على دفع الغرامة اليه فكان كالستجير من الرضاء بالنار . أفهذا أبأس يا صديق أم الخروف فى حكاية الذئب والحمل المشهورة ؟ لا ريب عندى أن هذا أبأس . لأن ذاك لم يحتكم الى أحد وكان خصمه هو الحكم . أما هذا فقد احتكم ولكن الى اظلم واغشم .

فمن هؤلاء العمدة والنظار اتخب الوفد السودانى الذى ذهب الى انكلترا فى سنة ١٩١٩ ولقن إعلان غضبه على المصريين وحكمهم ورضائه عن الانجليز وعدلهم . فليفهم المصريون هذا وليعلموا .

٦ - من كتاب سادس

أثقل المستعمرون كاهل الاهلين بمختلف الضرائب . فتجبي منهم على الاراضى والمساكن والماشية والانعام والماء والهواء والبول ايضاً . وفوق ذلك تجبي على البيع وعلى الشراء وعلى قطع الاخشاب من الغابات وعلى الانتقال الى مختلف الجهات وعلى كل شئ مهما تفه وحقر .

وإن تنس لاتنس أن ضريبة الخروف ثلاثة وثلاثون ملياً مع ان متوسط نمسه ثلاثة ارباع الريال . وإن تنس لاتنس أن الرجل يقضى جلاء نهار وطرفاً من الليل فى اقتطاع الاخشاب من الغابات فتتقاضى منه الضخوية ما يقرب من نصف نم ما احتطبه . وإن تنس لاتنس أن الشخص إذا بدأ له ان يفتح نافذة جديدة لتهوئة داره وجب عليه ان يدفع جعلاً . وإن تنس لاتنس أن على كل مالك أو مستأجر ان يدفع عشرة قروش شهرياً ضريبة (جردل البول) وذلك غير عوائد الاملاك والخفر . وقس على هذا .

ولا تنس ايضاً ان الاحكام العرفية مازال مبسوطة على البلاد منذ الفتح الاخير فلا يستطيع انسان ان يرفع صوته باحتجاج .

فالسودانى . فى الواقع . مغبون ومظلوم . لا يستطيع أن يدرأ عن نفسه ذلك الظلم البين إلا بالضراعة الى الله بأن ينقذه من استعمار الانكليز والمصريين على السواء . بل المصريين على الاخص لأن المصريين هم الذين يتولون جباية تلك الضرائب الفادحة ويستعملون فى جبايتها الطرق التي ذكرتها لك فى كتاب مضى --- دع عنك اجور السمك الحديدية والبواخر النيلية فانها فوق ما يتصور العقل من الغلاء

٧ - من كتاب سابع

يعرف الانكليز أن الدين هو الوتر الحساس في البلاد ويعلمون علم اليقين أنه ليس أغلى على عرب السودان من دينهم ، وأنهم يبحثون عن حتفهم إن حدثتهم أنفسهم بالتعرض له بأية وسيلة من الوسائل . ولهذا اكتفوا بنشر الدعاية بواسطة المبشرين بين الزنوج بالطرق المعاومة . وبما أن هؤلاء بدورهم لا يؤمنون بغير الفتشية ولا ينفون عن ديانتهم حولا . فكل جهد يبذل في هذا السبيل ضائع لاحالة . وإنما هو ضرب من ضروب الاستعمار وتجربة تأخذ مداها وأداة لاستدرار العطف على حكمهم والرضا بعدلهم وبأي الله سبحانه وتعالى إلا أن يفوت عليهم قصدهم ويعكس غرضهم . ومع ذلك فالأمر جدير باهتمام مصر والمصريين بل سائر المسلمين .

٨ - من كتاب ثامن

تسألني عن مبلغ ما يقال عن سياسة إخواننا السوريين بالسودان من الصحة . والحق أنني لأدري بم أجيبك . فأنا معجب بهم بمقدر لجهدهم ونشاطهم . وفيهم الكثيرون من أفاضل الرؤساء وأماجد الزملاء وأماثل النزلاء .

صحيح أنهم يحتلون أغلب المناصب الرئيسية بمعد الانجليز في البلاد ، وصحيح أنهم يساعد بعضهم بعضاً ، ولا غبار عليهم في هذا . فالجنس للجنس أميل . وتلك طبيعة كل أقلية في كل

مكان وزمان .

أما ما يقال عن خدمتهم للسياسة الانكليزية فصحيح أيضا .
لأنهم يحكمون وظائفهم . أيدي الانجليز العاملة وألسنتهم الناطقة
وهذا ما يجعلهم في نظر المصريين والسودانيين في مركز لا يحسدون
عليه .

٩ — من كتاب تاسع

أقيم سياج متين لمنع اختلاط العرب بالزنج — غير الرقيق —
واستحكم العداء بين العنصرين اللذين يتألف منهما السودان . فقالت
العرب ليست الزنج على شيء . وقالت الزنج ليست العرب على
شيء — شأن السياسة الانكليزية في مشارق الارض ومغاربها — بل
لعبت بد التفريق بين العرب ذاتهم ، فالبقارى يبغض الجع —
وهذا الاخير يحتقر الشايق — وهكذا ترى خلفاء الأمة العربية هنا
كأبناء عمومتهم في شبه الجزيرة .

١٠ — من كتاب عاشر

أحزن ما يحزننى أنك تقول فى معرض الرد على
— تشبهوا بالانكليز — الانكليز ياصديق لهم فى كل بلدة
من بلاد السودان القصور الشاهقة والحدائق المنمقة التى أسست
وبنيت على حساب المصريين ومن دماء الفلاحين المساكين .
أما نحن فنقطن متفرقين فى (القباطى والتكلات) أو بيوت من
الطين النىء مسقوفة بجذوع الاشجار وبعض (الابرش) وكل ما يقربها

من الهدم طلبها بروث البهائم - وهم يستمتعون بكل السلطان
ونحن لاسلطان لنا حتى على خدمنا الذين تؤتيهم أجورهم ضعفين .
وإذا ادعى منهم مدع لدى المفتش الانكليزي أنه لم يتناول مرتبه أجبر
مخدومه على دفعه وفوق هذا يهان ويسجن إن لم يقبل الاهانة .

ياقوم استخلفكم بحق مصر ألا تنسوا السودان وثقوا بأن
المصري غريب في بلاده هنا حقاً . وأن السياسة دائبة على فصل الاخوين
الشقيقين .

لقد فرحتم أن انتصرتم على العدليين (كتب هذا في أوائل سنة
١٩٢٤) وهم مصريون يختلفون معكم في الآراء . فوجهوا تلك الجهود
للقضاء على دسائس خصومكم بالسودان .

اتحدوا اتحدوا فانه . والذي في السماء إله وفي الارض إله . لاشيء
أنفع من الاتحاد . واجمعوا السهام التي كنتم تراشقون بها وصوبوها
لنحور الاعداء الحقيقيين - فان لم تفعلوا - فسلام على مصر وسلام على
السودان وعفاء على الاستقلال وعفاء على البرلمان . اهـ

* * * *

تلك بعض آثار السياسة الجهرية التي اسـ تطعت الوقوف عليها
بمجهودى الفردى وهى قطرة من بحر وكلمة من سجل . أما السياسة الخفية
فعلماها عند الانكليز وحدهم وهى سر تفوقهم الاستعماري وقبضهم على
ناصية الأمم المغلوبة على أمرها .

واذا كانت مصر مع ما بلغت من علم ومدنية قد ارتج عليها ولم تستطع أن تقف على شيء من كنه تلك السياسة ، فأحرى بالسودان أن يجهلها كل الجمل .

على أنى بعد الذى وقفت عليه حتى إبعادى من السوان فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٢٤ . أظلم نفسى وأظلم السودانين وأظلم الحقيقة إن أصررت على جهل السودانين بما رب السياسة الانكليزية . فتعرفى الى الكثيرين من خاصتهم وعامتهم وباختلاطى بأوساطهم وبالصدافة التى توقفت عراها بينى وبين الكثيرين من زعمائهم . توصلت الى معرفة حقيقة شعورهم وأتيح لى الوقوف على خفايا صدورهم وتأكدت أنه لا تكاد تخفى على عقلاهم خافية من أمر تلك السياسة .

تبسطت يوما فى الحديث مع رجل من أنبه رجال كردفان واستلحفته بكل عزيز أن يصارحنى برأيه فقال لى مامعناه : (اسمع يا بنى . لقد علمنا التعايشى كل ضروب النفاق وجنى على أخلاقنا أكبر جناية حتى لكأنه كل انكليزيا أسود ففرق بين القبائل والأسر لدرجة أن الرجل منا ما كان يستطيع أن يفضى بذات صدره لأمه وأبيه وفصيلته التى تؤويه . وما اجتمع اثنان منا يتناجيان إلا وهما يخالان أنه ثالثهما ففشت الغيبة والنميمة وطنى التمليق والزلفى حتى أضحت من صفات السودانين المكتسبة . فلما جاء الانكليز ورأيناهم يسلكون مجازة وينسجون على طرازه فيصغون لسماع كل وشاية وينشرون بيننا لحكمهم وعدلهم أوسع دعاية

ويرحبون بكل من اغتر بهم وانخدع بأعمالهم . في حين أن قومك
وقفوا أنا متفرجين وآونة شبه راضين . انصرفت قلوب الناس
عنكم إلى من هم أقدر منكم حتى خيل أننا مغرمون بهم متيمون
بجهم . وهم لا يفقهون أن التعايشي كان يتوهم هذا من قبلهم .
واني لأصارك الآن بأننا لا نبغى بغير الاستقلال بديلا
فلا نريد الانكاز ولا نريد المصريين ولا نرضى بملائكة الرحمن
أنفسهم إن هم أرادوا استعمار بلادنا . فالعبيد ذاتهم يتفانون في
سبيل الحرية ونحن سادة العبيد فكيف لا نفعل مثلهم فلا يخذلك ما أراه .
أما إذا كانت مصر تعنى ما تقول حقيقة وتريد أن تجمع
من السودان شريكاً لها عليها فالسودان عبد مصر وأنا
بهذا زعيم) .

* * * *

وبعد . فكل ما أنشئ بالسودان غير ما أسلفت . عدا
مشروعات الجيزة وخزان مكوار . إنما هو بمال مصر وما خسرت فيه
انكثرا مثقال ذرة .

فحضر اختلاق واسفاف في التبجح ما يدعيه الانكليز من
حقوق الفتح ومن التعمير ومن التمدين ومن كل الدعاوى
العريضة الشهيرة .

واليوم الذي تتوهم فيه الامبراطورية فصل مصر عن السودان
بالفعل ما يزال بعيداً بعد السماء عن الأرض .

والآن وقد انهار صرح الحجج الانكليزية من أساسه حجة إثر
حجة فلا فتح ولا ضحايا ولا مال ولا إدارة حسنة ولا عدالة شاملة . لم
تبق إلا دعوى إثارة السودانين في سنة ١٩٢٤ .

فلنبحث عن آثارهم ولبنين إلى أي حد قعدت مصر عن
نصرتهم مع أنها لو شاءت لانهزت الفرصة وقضت على نفوذ الانكليز
قضاء نهائيا . ولكن قدر فكان .



حقيقة ثورة سنة ١٩٢٤

انجلت الثورة المهدية عن فقد عدد لا يحصى من السودانيين بالرغم مما اتصفوا به من الجلد والشجاعة والصبر والاقدام . فقد ظلوا يحاربون الانكليز في شخص مصر سبعة عشر عاما متوالية . وهم في الوقت نفسه قد حاربوا الاحباش والاطليان والممالك المجاورة لهم من الغرب (المتهمة لدارفور) فضلا عما أنزله بهم التعاشي وقومه من أنواع الظلم والارهاق وضروب العسف والاضطهاد حتى أفضى قبائل برمتها كالشكرية والكبايش اللتين كان يبلغ تعدادهما نحو المليون نفس . وكاد يقضى على الشايقية والجعليين والبطاينة وسواهم ممن حل بهم سخطه ونزل عليهم غضبه . وفوق هذا وذاك فقد قضت المجاعة التي حدثت في عهده على مئات الالوف منهم . وأسفرت النتيجة النهائية عن تناقص عددهم الى أقل من النصف . واستولى عليهم ما يستولى على الكمي المنهزم من علائم الذلة ودلائل المسكنة .

وكانوا قد تمنوا أن تنقذهم مصر من ظلم الخليفة وتعود بهم الى ساحة عدلها وباحة عطفها واذا بهم يرونها وقد غلبت مثلهم على أمرها وتولى الانكليز شأنها . وما برحوا أن رأوا للانكليز القول الفصل والسلطان الأعلى في كل شيء . ولقد كرهوا فيما مضى أن تستعين مصر . في شخص عاملها غوردون . على ادارة بلادهم بعشرات من الاجانب وثارت ثائرتهم لذلك . فبهتوا لما رأوا المئات من الانكليز يتولون كل ناحية من نواحي الادارة واختلط عليهم

الإمر وأسقط في أيديهم ولم يسعهم إلا الرضا بقضاء الله وانتهاز الفرصة المناسبة للتخلص من ذلك الخطب الجديد .

واقدموا بمافطروا عليه من ذكاه أن الانكليز لا يستطيع اجلاؤهم عن السودان مالم تتخلص منهم مصر أولا . ولكن مصر نامت وطال نومها . فلما آن لها أن تستيقظ في سنة ١٩١٩ استيقظ السودان على أثرها . فما قام سعد بمصر حتى قام على عبد اللطيف في السودان وتريث في إشهار دعوته . ولولم تعجل انكلترا بإرسال الوفد السوداني الى لندن لتقديم فروض العبودية للدائرة المرنة لظل السودان ساكناً معتمداً على أنه ومصر وحدة لا تقبل التجزئة وأن ماسيسرى على مصر سيسرى عليه حتما . ولكن تعجيل الانكليز بإرسال (وفد الولاء) قوبل بالامتناع لدى جميع العقلاء . وعصفت بأفئدتهم رياح الشعور والاحساس بما يراد ببلادهم فلم يروا بداً من مؤازرة على عبد اللطيف في السر ولم يجرعوا على الجهر بأرائهم خشية التنكيل بهم . فبات القدر يغلي ثم يغلي حتى أوشك أن ينفجر .

فلما أن شغلت مصر بذلك الخلاف العقيم والشقاق الطائش أشفق السودانيون منه وحسبوا حساب الفشل فاعتصموا بالله—دوء والسكينة وباتوا ينتظرون ما تأتي به المقادير . حتى اذا ماجد الجسد في عهد الوزارة الشعبية الأولى وطفق البرلمان يردد ذكر السودان عادوا لاستئناف الجهاد السافر . وأقسم غير حاث . أنه لم يكن بين السودان وبين الاس—تقلال التام إلا الزعامة الحازمة والعمل الحاسم .

شعر الانكليز بخطورة الحال . فقاموا من فورهم بعمل
عرائض مختلفة ضمنوها (إعراب السودانيين عن ولائهم لهم
وارتياحهم لوجودهم ورضائهم عن حكمهم واعتباطهم بعهدهم . وقصمهم
من المصريين الظالمين والاشادة بذكر مظالم المزعومة وقطائع
الدقردار وما إلى هذا من أفانين الكذب وضروب المين) .

وقام المستر ولس مدير مصلحة المخابرات بنفسه وبمن ينق به كل
الثقة من رجاله للحصول على توقيعات زعماء القبائل وعمد العشائر
ونظار الأقسام على حدة وتوقيعات العامة وحدها .

أحفظ هذا العمل الجريء نفوس الشباب والمتوقدين
من الأهالي فقاموا بحركة مضادة وسعوا بدورهم للحصول على
توقيعات نفس الاشخاص الذين وقعوا لمدير المخابرات وعماله معلنين
(أنهم أكرهوا إكراهاها على التوقيع للمدير المذكور . وأن كل
ما جاء بتلك العرائض الزائفة باطل ولا ظل له من الحقيقة . وأنهم
لا يبتغون سوى البقاء إلى الأبد في حظيرة الوطن الاكبر وأن
مصر والسودان جزء لا يتجزأ) .

وشهد الله أنني وقفت على سر الموضوع من مبدأ الأمر
وعلمت بحركة الانكاز وهي وايدة وآمنت بوجوب القضاء عليها
ولما تبلغ أشدها . ويرجع الفضل في ذلك إلى صديق البطل
الوطني الغيور اليوزباشي (بكباشي الآن) محمد صالح جبريل .
فقد وقف على الحقيقة من الزعيم الباسل على عبد اللطيف وأسرها

إلى في الحال وزودني بما وقع في يديه من الوثائق .

فبادرت بمخاطبة أولى الأمر بمصر وأخطرتهم بكل التفاصيل وشفعت ذلك بعريضة من العرائض المطبوعة في مصلحة المخبرات وأظهرت تمام الاستعداد للقيام بحركة علنية مضادة حتى اذا ما قبض على وشرع في محاكمتي أعلنت على رؤوس الاشهاد أنني إنما أقابل عملهم بعمل مثله . والبادي أظلم . وقلت إنني مستعد للموت في هذا السبيل ، وكنت أوقن أن مثل هذا العمل الجدى من قبل المصريين من شأنه - على الأقل - أن يكشف سرهم ويفضح كيدهم ويفوت عليهم غرضهم . وأن مصر تستطيع بعد ذلك أن تلزمهم الحجة وتثبت عليهم الكيد والفساد .

ولكني أمرت تلغرافياً بوجود التريث وانتظار التعليمات . وكنت قد شرعت في مهمتي بالفعل . ولكن في السر . قبيل ذلك فاجتمع لى نحو الثلاثة آلاف توقيع في بضعة أيام . فاضطرت لاييقاف كل شيء انتظاراً للتعليمات .

وجاءني كتاب من الوسطاء بعد أسبوعين يقولون فيه (إن أولى الأمر لم يقرؤا رأيي ولم يوافقوا على عملي) .

فكانت النتيجة انعكاس الآية واتهام المصريين بتأليب السودانين وفساد الساس للادارة الانكليزية .

ومن رعى غمًا في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقف المصريون متفرجين . مع الأسف الشديد والألم المحض .
ولو وقف مصريو السودان مع اخوانهم وتعاونوا على العمل المجدى ،
كما ادعى الانكليز زورا وبهتانا ، لاستقل السودان ومصر في سنة
١٩٢٤ . فقد طاشت سهام السياسة الانكليزية وذهلت لما رآته من
مظاهر الوطنية وأوشك زمام الأمر أن يفلت من يدها حتى أصبحت
تنقض في يومها الحاضر ما أبرمته في أمسها الدابر وبادرت بأخذ أقسى
التدابير وأجرئها دون تفكير في النتائج لفرط ماحاق بها من الفرع
والخسارة وباتت تخبط خبط عشواء في سبيل القبض على
ناصية الحال .

فلو أن مصر تشجعت قليلا لردت كيديها في نحرها وخطت
خطوة حاسمة نحو الغاية التي تنشدتها ولكنها استكانت وجبنت فغلبت
على أمرها وكان الذي كان

وان أنت لم تعرف لنفسك حقها * هو اننا بها كانت على الناس أهونا
فإن كان يجب أبدا الرضا بإبعاد أورطة السكة الحديدية عن
السودان . بل كان من الضروري ردها ورد كل ضابط وموظف قضى
(بطرده) لمجرد اتهامه بالاشتغال بالسياسة .

وكان واجبا قبل هذا وذاك ارسال النقود التي جمعت باسم
منكوبي السودان لاربابها . فالتعود عن ارسالها كان من أم البواعث
لائخاذ الحركة وفتور الهمم وخود العزائم .

وتحرير الخبر أن كل من كان يقبض عليه من السودانيين فيحاكم

وبحكم عليه بالسجن يتضور أبنائه جوعاً لاعتقال عائلهم . ومن ثم لا يرى
سواه معنى للجناية على أبنائه . والى هنا يقف اليراع فما كل ما يعرف يقال
(ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) .

على أنى أذكر للحقيقة والتاريخ أنى بعثت لولاية الامور فى
ذلك الحين ملف قضية محكوم فيها على ثلاثة أشخاص بالسجن ثلاث
سنوات وحيثيات الحكم مبنى جلها على (جريمة) الهتاف لحضرة
صاحب الجلالة ملك مصر والسودان ، وقلت إن أحدهم ترك من ورائه
ذرية ضعافاً . لا أذكر عديدها . وكلهم يشكو مرارة الجوع وألم العرى
وهم فى حالة تستدر عطف الجواد ، بعد أن حرموا أربعة عشر جنيناً كان
يتقاضاها عائلهم مرتباً شهرياً وذكرت أن أمثال هذا يساقون بالعشرات
الى السجون فى كل يوم دون أن يعرفوا مصير أسرهم . فلم يستمعوا الى
(ولو علم الله فيهم خيراً لا أسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) .
ومرة أخرى (ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) .

وتلقيت يوماً من صديق سودانى صورة تلغراف بالشفرة
وتعريبه مرسل من قومندان قسم الخرطوم الى قومندان قسم كردفان .
حوالى منتصف شهر أغسطس سنة ١٩٢٤ . يقول فيه مامعناه : —
يراد إبعاد البلوك البيضاء الذى بالايض من الأورطة الثالثة المصرية
الى الخرطوم وحلول بلوك انكليزى محله . فاعمل الترتيب اللازم لذلك
(وعلى قومندان البلوك المذكور أن يفهم أن هناك اضطرابات وقعت

بالقاهرة ترتب عليها قيام الأورطة الرابعة العسكرية بالخرطوم الى مصر وحلول هذا البلوك محلها .

فأخطرت بهذا اليوزباشى (بكباشى بلعاش الآن) ابراهيم افندى تادرس الذى كان قائما بأعمال البلوك لغياب القومندان بأجازة قبل أن يخطره قومندان القسم باربع وعشرين ساعة وكان الرجل وطنيا وشهما وبعد التفاهم مع سوانا من صادق الوطنية ، عرضت جملة حلول ثورية ولكنها رفضت لتغلب الحكمة وأقرت الأغلبية وجوب ارسال استفسار برقى لقومندان الأورطة الثالثة بالخرطوم عقب ابلاغ الامر لرئيس البلوك من لدن قومندان القسم .

فلما أبلغ اليه الأمر فى اليوم التالى وبعث اليوزباشى يستفسر قومنداناه جاءه الرد بالطاعة الأوامر . وقامت الجنود المصرية واحتل ثكناتها بعد اسبوع واحد جيش انجليزى .

وبعثت بهذا وبغيره وغيره لنوى الشأن . ولكن بدون

نتيجة !!!

ومرة ثالثة (ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) .

وأخيراً كان لزاما . فى اعتقادى . ويشاطرنى اخوانى السودانيون رأيي أن تموت بضع مئات الضباط والجنود وكل المصريين الذين كانوا بالسودان عند مقتل السردار قبل أن يصل اليهم الأمر الملوكى الكريم . ولا يتركوا السودان لقمة سائغة للانكليز .

ولو أنى بقيت معهم . لفعلت . ولكنى (طردت) قبيل ذلك

بحجة أن وجودى خطر ولا ذنب لى إلا الاخلاص للواجب الوطنى .
وهكذا ترتب على سكوت مصر كل ما حدث بعد ذلك من المحن
والارزاء مما لا يزال ماثلاً فى الأذهان وواضحاً للعيان .
فندا الذى أثار السودانين أولاً ونكل بهم أخيراً ؟؟؟ اللهم
فاشهد وأنت خير الشاهدين .



الخطبة

ليس أدل على حب السودانيين لمصر وتعلقهم بها من كون أهل كردفان مع اشتهارهم بالتدين ومع اعتقاد المستعمرين أنهم يحملون بين جنوبهم أشد البغضاء للمصريين . قد قبلوا عن طيب خاطر أن يمتنعوا عن صلاة الجمعة بمسجد الابيض احتجاجاً على حذف الدعاء للالة الملك من الخطبة .

فلا أول مرة لوحظ فيها اغفال الاسم الكريم ظننت أن الامر غير مقصود فلما تأكدت أن هذا من صغار السياسة الانكليزية . عرضت فكرة هذا الاحتجاج على بعض الاخوان ، فقبل اقتراحي بالهزة والسخرية من جانب دعاة اليأس من المصريين ، وأجمعوا على أني لن أستطيع أن أكتسب موافقة سودانيين اثنين على اقتراحي .

فلما كانت الجمعة التالية وانصرف أغلب المصلين قبل أن ينزل الخطيب من فوق منبره ولم يبق في الجامع على سعيته إلا بضع عشرات ممن لم يتصل بهم الخبر ولم يفقهوا السر فيما حصل . اكبروا هذا الشعور الرائع . وذهبنا جميعاً فأقنا الصلاة في فضاء خارج البلدة .

ولا يزال الزوج من رديف الاورط السودانية يعتزوت كل الاعتزاز بأنهم من جنود (أفندينا) ويعتبرون هذا مجداً لهم وفخراً لقبيلهم ولا يزال من يشتغل منهم في البوليس والخفر يستعمل الاصطلاحات العسكرية القديمة (التركية) الى يومنا هذا .

ويذكر العبيد لمصر فضل تحريرهم والقضاء على تجارة الرقيق بينهم ولا ينسى الشلوك ما كان من أمرها معهم يوم استدعى اسماعيل أيوب باشا حكام السودان ليحكمهم كيحكم بك وسلمه ألف رأس من رقيق قومه ضبطتهم الحكومة مع الجلاية .

أما العرب فأبناء عمومتنا وخوولتنا . وإذا كانت الأيام قد ضربت بضرابها بيننا حيناً من الدهر . فقد علموا ما لمصر عليهم من أياد وأن حكومتها السابقة على علائها كانت بهم أرحم ولهم أصلح من حكومة الدناقلة والبقارة . وفهموا أن الانكليز إذ استغلون بلادهم بكل طرق الاستغلال حتى تصبح أخصب مزرعة لمعامل يوركشير ولانكشير . وقد ذاقوا وبال فعلهم وخبروا حقيقة أمرهم . وما عهد انتزاع ملكية أراضي الجزيرة من أيدي ملاكها يبعيد .

وإن ينس حضرة صاحب الفضيلة الحبيب النسيب السيد على المرغني زعيم السودان غير منازع . لا ينس أن اعتزاز مصر بشيعة السادة المرغنية واجلالها لزعم الأسرة الشريفة وتأيدها لطريقته القويمة كان من أكبر أسباب الثورة المهدية التي خسرت فيها أحب مال وأعز بنين . ولن يعزب عن أذهان حضرات السيد عبد الرحمن المهدي والشريف يوسف الهندي والسيد اسماعيل الازهرى والاستاذ أبي ذقن والشريف حمد النيل والسير على التوم وأمثالهم من الزعماء والعقلاء والمفكرين أن مصر تعتبر السودان جزءاً متما لها وأنه ليس أحب اليها يوم يعود الى احضانها من أن تعامله معاملة الغريبة واسوان وأن فكرة

الاستعمار لم تنبت إلا في رموس الانكليز أملتها الاخقاد والسخائم وهول
الفرع من اليوم الأغر المنتظر .

بقى أن يفهم سواد المصريين أن اليوم الذي يتحقق فيه فصل
السودان عن مصر بالفعل إنما هو آخر يوم في حياة بلادهم ، وأن
انكثرا تسعى السعي كله للقبض على نواصينا بالماء . وأنها تسلب باليمين
ماتعطى باليسار قلن ترفع يدها عن مصر من الشمال إلا لتضعها
عليها من الجنوب .

وإذا كان فلاحونا يتقاتلون فيقتلون ويقتلون على مياه الري
وما يزال النيل نيلنا فإذا عسام أن يصنعوا يوم يمسي النيل انكليزيا ؟
أيها المواطنون .

لقد كنا أول من تقرد فأسر في أذن الزمان أن عهد
الثلة والمسكنة قد مضى وانقضى وأنه لن يعود . وآية ذلك أننا تحركنا
غداة الهدنة يوم سكن المحاربون ، وثرنا بعيد الحرب وقما هداً الناثرون .
فززلت الأهرام زلزالها ، وأفضى أبو الهول بكامة من سره الرهيب .
فأصغى له الدهر ، وأنصت العالم أجمع .

وكانت مصر أول من أثار على حصون الاستبداد فذك منها
معقلا ، وأسبق من فوق السهام الى قلب الاستعباد فأصاب منه
مقتلا وأصبحت ثورتها أضوا نور تلالاً في سماء الحرية ، وأعلى صيحة
أهابت بالنوام أن « حي على القومية » ، وأرفع لواء سما ورفرف
على هام الوطنية .

وعنها تلقت سائر أمم الشرق دروس التضحية والجهاد ، فقضت بالأمل الزاهر على اليأس القاهر ، وما برحت تقفن في طرق الجلال ، وتشتد في سبل العناد حتى سبقتنا بمراحل ، وأضحت الغاية المنشودة منها على قاب قوسين أو أدنى .

فيا أسفا على مصر ، ويارحمته لنا ، وواعاراه علينا . أيقظنا غيرنا ونمنا ، فصاح وسككتنا ، وسار حيث وقفنا ، وجد وتقاعدنا ، واتحد وتفرقنا . وما ذلك إلا لأن بأسنا يئننا شديد بحسبنا الناس جميعاً وقلوبنا شتى .

دعوا الحزبية والتعزب من أجل السودان على الأقل (ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) . واتقوا الله في وطنكم ولا تتربصوا ببعضكم الدوائر فتدور الدوائر عليكم جميعاً ، وليوقن الكل أن مسألة السودان بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت .

وبعد . فلا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس ، وأعمار الأمم بالحقب والاجيال لا بالايام والاعوام . فالاتحاد الاتحاد ، والجهاد الجهاد ، والثبات الثبات ، والدعوة الدعوة الى مقاطعة كل فرد أو حزب تسول له نفسه أن يرضى بما دون الاستقلال التام لمصر والسودان .

اتتهى

ضما للأشياء والنظائر وجمعاً المتفرق من ضحايا مصر في
السودان نذيل على هذا الكتاب بذكر الغفور له المرحوم
محمد أبي الفتوح باشا التي وضعها وقدمها في مفاوضات سنة ١٩٢١
لما في هذه المذكرة من الحقائق التي لا ينبغي أن تغيب عن
الباحثين ومحبي الاطلاع على ما بذلته مصر في هذا السبيل .
وهاي المذكرة المذكورة : —

مذكرة

عن السودان المصرى

لمحمد أبى الفتوح باشا عضو الوفد الرسمى الذى سافر الى لندن
للمفاوضات فى المسألة المصرية برئاسة عدلى يكن باشا سنة ١٩٢١ م

القسم الاول

١ - لمحة تاريخية

لاجدال فى أهمية السودان لمصر . وما ذلك إلا لأن امتلاك
وادي النيل برمته هو لها بمثابة حياة أو موت . ولهذا لم يتردد قدماء
الفراعنة فى أمر فتحه . وأتى محمد على بثاقب فكره وبعد نظره فحذا
حذوهم واهتدى بهديهم وجاهد فى فتحه من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٢٢ م
وضم اسماعيل باشا لمصر نواحي البحيرات الكبرى لغاية منابع
النيل وبحر الغزال وجهات خط الاستواء وساحل البحر الاحمر لغاية
رأس غردقوى ووضع الاوغندا تحت حماية مصر وتحصل من الباب
العالى على التنازل عن سواكن وزيلع وملحقتهما كما تحصل منه على
لقب خديو مصر وملك النوبة ودارفور وكردفان وسنار .
ونوه فرمان سنة ١٨٤١ م بذكر النوبة ودارفور وكردفان وملحقتهما

أى السودان لغاية منطقة البحيرات الكبرى . وأيد فرمان سنة ١٨٧٩
وفرمان سنة ١٨٩٢ م فرمانات الساقفة وصادقت الدول على هذه
الفرمانات جميعها على تباينها .

وعلى أثر الاضطرابات التى حدثت فى السودان بسبب تمرد المهديين
ختمت الحكومة البريطانية رأيها على مصر فى سنة ١٨٨٣ م بترك السودان
بقضه وقضيضه .

وكانت نتيجة هذا التحكم المشثوم ضياع حامية الخرطوم المؤلفة
من ٦٠٠٠ نفس وجميع المصريين المقيمين فى السودان والمراكب
ومجهودات وثمار ٦٥ عاما . كل هذا وغيره ذهب هباء .

احتجت وزارة شريف بلشا التى كانت قائمة فى ذلك العهد ولكن
احتجاجها ذهب صرخة فى واد ولم يفد شيئا واكرهت هذه الوزارة امام
التهديد أن تقدم استقالتها .

كيف نفسر هذا التغيير المبين فى السياسة الانكليزية . أيقال
إن اخلاء السودان كان من مصلحة مصر ؟ كلام كلاب . وستوضح لنا
سياسة الاستعمار الانكليزية فى افريقية الأسباب الموجبة لذلك التطور .

٢ — سياسة الانكليز الاستعمارية فى افريقية

لقد كانت انكلترا دبرت لها من أمد بعيد خطة استعمار فى افريقية
وهذه الخطة ترى الى انشاء امبراطورية واسعة الارحاء مترامية
الأطراف فى افريقية ، امبراطورية تعتمد من القاهرة الى رأس عشم الخير .

وفي شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ م كتب المستر غلادستون في مجلة القرن التاسع عشر يقول :

« اذا توطدت أقدامنا في مصر تكون هذه المستعمرة الأولى بوجه التحقيق بمثابة ذريعة لتأسيس امبراطورية شاسعة في أفريقية الشمالية وتأخذ في النمو تدريجياً الى أن تدخل في تخومها منابع النيل الايض بل وتنتهى بدون شك بأن تجتاز خط الاستواء لتتصل بمستعمرتي التتال ورأس العشم . وذلك بغض النظر عن الترنسفال ونهر الاورنج . وكذلك يكون الحال في الحبشة وزنجبار اللتين سنلتهمهما لدى مرورنا بهما . » اهـ

وتنفيذاً للخططة السالف ذكرها احتلت انكلترا مصر عام ١٨٨٢ م وحتمت اخلاء السودان سنة ١٨٨٣ م واستولت على الاوغندا ونواحى خط الاستواء والاوينيور سنة ١٨٩٠ م وواد لاى فى سنة ١٨٩٥ م .

ولتحقيق نفس هذا الغرض ووضع هذه النية فى طريق التنفيذ عقدت الاتفاقيات الآتية :

- ١ - الاتفاقية الانكليزية الالمانية فى أول نوفمبر سنة ١٨٨٦ م
 - ٢ - « » الايطالية « » يوليه « ١٨٩٠ م
 - ٣ - « » مع الكونغو « ١٢ مايو « ١٨٩٤ م
- والغرض من هذه الاتفاقيات الثلاث تحديد مناطق تفوذها فى

نواحى أعالى النيل والسودان الشرقى .

وعقب أن تم لانكلترا هذا الضم المتتالى وعقد هذه الاتفاقيات لم يبق لديها ما تخشاه من أى تدخل أجنبى فى الجانب الشمالى من أعالى النيل إذ أنها أضحت متركزة على مصر من جهة الشمال وعلى

إيطاليا وأوغندا من الشرق وعلى ولاية أوغندا والكونغو المستقلة وممتلكاتها من الغرب والجنوب . وبذا أحاطت بالسودان المصري من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم .

وآن الاوان للانكليز للاستيلاء على هذا البلد الذى كانت يد الثوار قد عبثت به طيلة خمسة عشر عاما ومزقته كل ممزق . وكان لابد لهم فوق ذلك من الاسراع فى العمل لأن فرنسا كانت تحاول الوصول الى أعالي النيل . وما وقع من الجدل بمجلس العموم فى جلسة ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥ م فيه ما يكشف الستار ويزيل القناع عن السر فى الاسراع . فلقد قال السير ايلياس اشמיד بارتلت بصدد الاشاعة التى أذيعت عن اعتزام فرنسا على ارسال بعثة الى أعالي النيل ما يأتى :

« من الضروري القيام بعمل سريع وبغير ذلك لا نضمن البتة ألا يسبقنا الفرنسيون ويحتلوا قبلنا جهات أعالي وادى النيل » . اهـ

وصرح اللورد سالسبورى فى مجلس النواب فى ٨ فبراير بما يأتى :
« إن مصلحة مصر تقضى بالألا يدنس تخومها حادث من حوادث التعسف المجردة من كل نزاهة . بل هناك دواع أخرى تستلزم الزحف على الخرطوم . وهذه الدواعى الأخرى لاداعى لذكرها وهى تستدعى إيجاد قوة فى وادى النيل » . اهـ

وهذه الدواعى التى لاداعى لذكرها إن هى إلا استباق الفرنسيين فى احتلال أعالي النيل وطردهم منه اذا كانوا وضعوا أقدامهم على أراضيه .

وفوق ذلك كان غرض الانكليز من وضع الاتفاقية الانكليزية الإيطالية لمواجهة الإيطاليين بتخليك ملك الحبش حتى لا يشتغلوا هم

بأمره الى أن تسمح لهم الظروف بتنظيم حملة السودان لأن منليك كان أرسل بمنشور للدول مؤرخ في ابريل سنة ١٨٩١ م اخبرهم فيه عن عزمه على فتح السودان . ولم ينطىء انكلترا فيما رأته وقدرته وجاءت السكرثة التي حلت بالطلبيان في (عدوه) فزادت في جزع الانكليز ومخاوفهم . ومما سبق ايضاحه يرى بجلاء أن اخلاء السودان لم يقرره الانكليز حقيقة مراعاة لمصلحة مصر التي تحملت خسائر جمة من جراء هذا الاخلاء وتضحيات هائلة في سبيل استرداده وفي الحالتين لم تقم بشيء سوى خدمة الانكليز مضحية في ذلك نفس مصلحتها .

٣ — استرداد السودان

وفي ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ م أي بعد ١٢ يوما من كارثة الطليان في (عدوه) ورد للسير كتشنر سردار الجيش المصري في منتصف الليل أمر بتسيير حملة لاعادة فتح السودان . ولم يصل خبر قرار الوزارة الانكليزية لرئيس وزراء مصر إلا بعد ظهر يوم ١٣ وللخديو إلا في مساء ذلك اليوم .

واستمرت الحرب سجالاتا مدة عامين وفي ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م دخل السير كتشنر أم درمان عاصمة السودان يحقق على رأسه علم النصر . وتحملت مصر وحدها تقريبا كل اعباء هذه الحرب . فكان الجيش مؤلفا كله على وجه التقريب من عساكر مصرية . ووضع على عاتق مالية مصر تقريبا كافة مصاريف الحرب . ومن ذلك الوقت لم تكف مصر عن

أن تقدم للسودان القروض التي كانت تلزم لرواج منتجاته ومحاصيله .
ولدت شبكة من السكك الحديدية يبلغ طولها ٢٤٠٠ كيلو متر . وأنشاء عدد
كبير من الطرق والمواصلات النيلية . ولعمل مجموعة متقنة للرى في بعض
الجهات . ولقد مر على الجيش المصرى خمسة وعشرون عاما طوالا وهو
بأسره تقريرا في السودان يشغل في تهدئته وتوطيد دعائم الأمن في
ربوعه وأنشاء كافة الأشغال العمومية التي من أجلها بورسودان الذي
تأسس بمال مصر وعاد عليها منه اضرار فادحة وذلك بسبب تحويل
البضائع اليه بعد أن كانت تمر قبلا عن طريق مصر .

ويستطيع الانسان أن يحكم عندما يتأمل بثاقب فكره في سرعة
انتهاء هذه الحرب وفيما أبداه المهديون من ضعف المقاومة عنها وهل
كان حقا هنالك أمام مصر ذلك الشبح الخيف الذي اتفق أساطين السياسة
على أن يسموه في عرفهم الخطر المهدوى ؟ وهل قرار اخلاء السودان
اتخذ صدقا في مصلحة مصر دون سواها ؟

وأما كان عوضا عن إخلاء السودان تركت مصر تتخذ علاجا
ناجعا لاختاد الثورة كما كانت تريد وزارة شريف باشا فقد كان ذلك في
حيز استطاعتها إذ كان في قدرتها أن تحشد في سنة ١٨٨٣ م جيشا عدده
بضارع على أقل تقدير عدد الجيش الذي جمع سنة ١٨٩٦ م إن لم يفقه ويزيد
عنه . لو كانت تركت وفعلت ذلك لأتخذت حاميتها ورجالها واحتفظت
علاوة على ذلك بحرماتها ونفوذها الأدبي وما كان وجد لاتفاقية ١٩ يناير
سنة ١٨٩٩ م لا اسم ولا رسم .

وانتقل الآن لفحص هذه الاتفاقية :

٤ — اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ م

هذه الاتفاقية فريدة في باب الاتفاقيات إذ لم يسبق في عالم الاتفاقيات عقد اتفاقية نظيرها في القانون الدولي . ومن يرد أن يحاول تكييف نوعها تكييفاً شرعياً يتحير وتذهب محاولته أدراج الرياح . غير أن الذي يستطيع تحقيقه منها هو أن الحقوق التي منحت لانتكرا في هذه الاتفاقية لا تركز على أى مسوغ شرعى .

فليس على ارسال بضع اورط من الجنود لايجاوز عددهم أنى جندى وصرف مبلغ زهيد من المال يستطيع تقرير حقوق انتكرا في السودان . فصر لم تطلب من هذه الدولة أن تعدها بالمعونة البتة وما أدته من الخدمة كان بمحض إرادتها واختيارها وبدون أن تدعى لذلك وبدون عقد مشروط فيه مقدار ما تأخذه مقابل خدمتها .

وإذا كانت المعونة من شأنها أن تقرر حقاً ما فينبغى أن يكون لمصر هذا الحق في سورية وفلسطين . وذلك لأن الفضل في تيسير فتحها يرجع الى رجالها وسككها الحديدية وموانئها وتزويدها بالجيش الانكليزى بالزاد والماء ومختلف الادوات والآلات . وصرفت مصر ما يربو على ٤ ملايين من الجنيهات علاوة على الفرق فى أعان كل ما طلبه الجيش الانكليزى وفرق عن صنف القطن وحده يعد بالملايين وذلك بصرف النظر عن ثمن الحبوب على أنواعها واللواشى ذلك الثمن الذى تقص الثلث فى مدة الحرب .

ولقد صرح المارشال ألني بالمساعدة القيمة التي أسستها مصر في
غضون حرب فلسطين وسورية . وجاء في تقرير اللورد ملر ما يأتي :-
« إنه لمن العدل الجهر بالخدم التي أبدتها قسم الاشغال المصرى .
تلك الخدم التي قيمتها لا يقدر لها ثمن والتي كان لا بد منها في حرب
فلسطين » . اهـ

ولقد كانت انكلترا مدينة لمصر ديناً أدياً مزدوجاً يدعوها
لمساعدتها في استرجاع السودان . ألم تكن هي التي أوعزت باخلائه ؟ ألم
تكن هي التي منحت نفسها لقب وصية عليها ؟ لقد قال السير ادوارد غراي
وكيل وزارة خارجية انكلترا في ٢٨ مارس سنة ١٨٩٥ م أمام مجلس النواب :
« إن لانكلترا مركزاً خصوصياً بالنسبة للدفاع عن مصالح مصر
ألا وهو موقف الوصى . ومطالب مصر في استرداد السودان لم نسلم بها
نحن وحدنا فحسب بل سلمت بها أيضاً فرنسا وأيدته جهاراً على رؤوس
الاشهاد » . اهـ

أليس انكلترا هي التي لاجل تنفيذ خطتها الاستعمارية
في أفريقية والحيلولة دون قيام فرنسا بسد الطريق ، ساعدت مصر
لكي تكون آمنة من انجاح مشروعاتها ؟

ومن جهة أخرى فالذي يبدو لنا أن انكلترا ما أرادت أبداً ولن
تريد مطلقاً أن تنازع مصر في مسألة سيادتها على السودان . وأن من
الواجب أن تظل هذه السيادة تامة لها وحدها دون منازع . أما إذا أريد
عكس ذلك فكان يلزم إيجاد نص خاص ينوه فيه بذلك وهذا النص
لا وجود له . بل يوجد بالعكس تصريحات رسمية كثيرة تقيد دوام

هذه السيادة واستمرارها .

أما مسألة عدم إخماد ثورة شبت في ولاية من ولايات احدى الامم وترك هذه الولاية وقتاً ما فهذا العمل لا يفيد في حد ذاته التنازل عن السيادة على تلك الولاية .

إن مصر من منذ عهد فتوح الفراعنة لم تتخل يوماً ما عن السودان بطريقة نهائية . واذا كانت في بعض الاحيان تشاغلته عنه فتشاغلها هذا لم يكن إلا اضطرارياً اقتضته ظروف الاحوال ومع ذلك لم تمتلكه دولة في أى وقت من الاوقات . بل ظلت حقوقها في السودان مصرحاً ومعترفاً بها في السر والعلن وفي كل الظروف من كبار رجال السياسة سواء منهم الانكليز والفرنسيون والمصريون والايطاليون وغيرهم .

وبدون أن ندخل في تفاصيل اتفاقية سنة ١٨٩٩م من الوجهة الشرعية الامر المعلوم لكل إنسان يمكننا أن نؤكد أن هذه الاتفاقية لانس من أية ناحية كانت سيادة مصر على السودان .

وهذه الحقيقة ستظهر جلية واضحة عندما نضع أمام أعيننا مختلف التصريحات التي فاه بها رجال السياسة سواء منهم المصريون والانكليز ونحلل نفس نص تلك الاتفاقية ونعدد الفرمانات التي تخول مصر حق السيادة ابتداء من سنة ١٨٨٤م :

١ - تصريحات رجال السياسة الانكليز :

١ - عبر اللورد غرافيل في التعليقات التي أصدرها في ١٨ يناير

سنة ١٨٨٤ الى غوردون عن رأيه بالكيفية الآتية :

ينبغي فحص أحسن الوسائل التي يلزم اتخاذها لاخلاء داخلية السودان

وتوطيد دعائم الامن وإدارة المصالح والموائى القائمة على السواحل وذلك تحت سيادة الحكومة المصرية وإفادتنا بما ترويه « . اه
٢ - والبند الثانى من الاتفاقية الانكليزية الايطالية المعقودة فى سنة ١٨٩١ م نصه كالآتى :

« للحكومة الايطالية الحق فى احتلال كسلا وما جاورها من البلاد لغاية العطبرة وذلك فيما لو اضطرها مركزها الحربى لهذا الاحتلال . ومن المتفق عليه بين الدولتين المتعاقدين أن كل احتلال حربى وقى للأرض الاضافية الميينة فى هذا البند لا يفسخ حقوق الحكومة المصرية فى الأرض المذكورة . وهذه الحقوق تظل فقط موقوفة الى أن يصير فى استطاعة الحكومة المصرية احتلال المركز السالف ذكره « اه
٣ - وقال اللورد سالسبورى لسفير فرنسا فى ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٦ م :

« إنى متمسك على وجه العموم بهذا الرأى ذلك أن وادى النيل كان وما زال ولن يزال ملكا لمصر وإن كل مانع أو انتقاص ألم بحقوق هذه الملكية من جراء فتح المهدي واحتلاله قد زال وتلاشى بحكم انتصار الجيش الانكليزى المصرى فى أم درمان « . اه
وخطب اللورد روسبرى فى مدينة ابسون بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م فقال (١) :

« لىكى تقرر حقوق مصر على فاشودة بطريقة

(١) - راجع عددي التيمس المؤرخين ١٣ و ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م .

حاسمة قد كفانا أن نذكر الحكومة الفرنسية بأقوالها في السنين الأخيرة وذلك باستعارة أقوال السيود كرية وكوريسل وهانوتو وهي : « نحن على وشك أن نرد لمصر ما هو من أرضها وذلك حسب التصريحات التي فاهت بها كل الحكومات الفرنسية » . وهذا أمر جلي واضح حتى أنه ليسق على أن أصدق أنه في الامكان العثور على أى شيء ينافية . اه
وأبدى السيود غراي مثل هذا الرأي في خطبة القاها في مدينة يورك في ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م ^(١) بقوله :

« ليس على فرنسا إلا أن تلاحظ أن مسألة فاشودة مسألة متعلقة بالمبادئ والحقوق . فاذا كانت تريد أن تخرج من هذا المأزق فاعليها إلا أن ترجع الى المبادئ التي ينسها السيود هانوتو وتعمل بمقتضاها وبذلك ينحل الاشكال بسهولة » . اه

وخطب اللورد كبرلي في الولاية التي أقيمت تكريما لكتشنر في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٨ م فقال ^(٢) :

« إن اخلاء فاشودة ليس فيه ما يحبط من قدر فرنسا مادامت الحكومة الفرنسية هي نفسها صرحت أن الارض المتنازع عليها ملك مصر . فينبغي لفرنسا ان تصون سمعتها بالألا تعمل تقيض ما صرحت به هي نفسها » . اه

وبين اللورد سالسبورى في كتاب أزرق نشره سنة ١٨٩٨ م بجلاء ووضوح نظرية الانكليز في مسألة فاشودة فقال :

(١) — راجع عدد التيمس المؤرخ ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م .

(٢) — « » » » ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٨ م .

« انها من ممتلكات مصر بلا نزاع » . اه (١)
وكتب اللورد كرومر في تقريره عن سنة ١٩٠١ م ما يأتي :
« ليس الغرض من عقد اتفاقية سنة ١٨٩٨ م حرمان مصر من حقوقها
في السودان بل تزويده بحكومة صالحة والتخلص من العقبات التي
تلقبها في طريقه مسألة الامتيازات (٢) » . اه
وكتب اللورد كبرلي في ٤ ابريل سنة ١٨٩٥ م الى اللورد دوفرن :
« اذا كانت مصر تسترد السودان الذي كانت تحتله في المدة السالفة
فمن الواجب علينا أن نعتزف بحقها في امتلاكه » . اه

واعترف اللورد كرومر في تقريره عن سنة ١٩٠١ م بمشروعية
الملاحظات التي أبدتها مجلس الشورى عند الاقتراح على الميزانية الخاصة
بالسودان . وهذه الملاحظات هي التي قرر فيها ذلك المجلس أن السودان
جزء متمم لمصر .

(ب) - تصريحات الجانب المصري .

في أواخر عام ١٨٨٣ م عندما أكرهت وزارة شريف باشا على
الاستقالة دونت أسباب استقالتها في خطاب أذيع على الجمهور واليك
ما جاء به :

« ان الحكومة البريطانية تحتم علينا اخلاء السودان مع أن
قبول هذا الاخلاء ليس من حقنا لأن هذا البلد هو من ممتلكات الباب

(١) — راجع الكتاب الأزرق المؤرخ ٥ اكتوبر سنة ١٨٩٨ م .

(٢) — راجع تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠١ م . ص ٤

العالي وقد سلمنا حراسته . تقول حكومة الملكة إنه من واجبات مصر
الاذعان لمشوراتها بدون مناقشة . وهذا تعد صارخ على فرمان ٢٣
اغسطس سنة ١٨٧٨ م القاضي بأن الخديو يحكم مع وزرائه وبواسطتهم .
وقد استقلنا لأنه حجب علينا أن ندير الاحكام بمقتضى هذا الدستور . اه
وفي ٢٧ يناير سنة ١٨٨٤ م أكره الخديو على قبول مأمورية غوردون
ومع ذلك فلا يوجد في التعليمات التي أصدرتها الحكومة المصرية أو
الانكليزية لهذا الجنرال ما يدل على أن هذا الاخلاء كان بائنا . بل الجواب
الذي تلقاه الجنرال المذكور من الخديو في التاريخ السالف ذكره يفيد
عكس ذلك إذ يوصيه فيه بأن يساعد على أن يؤسس في السودان
حكومة ثابتة . وهذا أمر يدل على اهتمامه بشؤون السودان كما يدل في
الوقت نفسه على أنه عمل من أعمال التدخل والسيادة .

وفي سنة ١٨٨٤ م أرسل توفيق باشا نداء الى أهالي السودان يقول
فيه إنه لاهتمامه بشؤونهم فوض اليهم أمر اختيار حكومتهم . وهذا
بلا جدال عمل من أعمال السيادة .

وأرسل رياض باشا الى السير افلن بارنج بتاريخ ٩ ديسمبر سنة
١٨٨٨ م مذكرة يقول فيها :

« لا ينازع أى انسان فى أن النيل هو حياة مصر وهذا أمر واضح
جلي لا يختلف فيه اثنان . إذن النيل هو السودان ولا يرتاب أحد في
أن العلائق التي تربطهما لا انفكاك لها وهى أشبه شئ بعلاقة الروح
بالجسد . فإذا استولت دولة ما على ضفاف النيل فعلى مصر العفاء . ويعلم من
ذلك أن حكومة سمو الخديو لا يمكن أن تقبل بحض رضاها واختيارها

ويدون أن تكره على ذلك تمهداً كهذا على وجودها وحياتها^(١) . اهـ .
وأدمج اللورد سالسبوري في الكتاب الأزرق الذي أذاعه سنة
١٨٩٨ م^(٢) بصدد فاشودة خطاباً من بطرس باشا خالي يقول فيه :
« تعلمون نغامتكم أنه لم ينب البتة عن أنظار حكومة الخديو
مسألة استرداد مديريات السودان التي هي عبارة عن ينبوع حياة مصر
والتي لم تنجل عنها إلا على أثر طروء ظروف قوة القاهرة . وقد تضيق
الفائدة من إعادة فتح الخرطوم إذا لم تسترد وادي النيل الذي ضمت مصر
في سبيله الشيء الكثير من الاموال والارواح . ولما كانت الحكومة
المصرية تعلم أن هنالك مفاوضات دائرة الآن بين بريطانيا العظمى
وفرنسا بصدد فاشودة فقد كلفتني أن أرجو نغامتكم أن تمدونا بحسن
معونتكم لدى اللورد سالسبوري ابتغاء الاعتراف بحقوق مصر
الثابتة ورد جميع المديريات التي كانت تحتلها لغاية قيام ثورة محمد احمد » . اهـ .
وكان مجلس الشورى في مرات كثيرة عندما يستدعى الى ابداء رأيه
في القروض التي تقدم للسودان لا يألو أن يكرر : « نحن نصادق على هذه
القروض لأن السودان جزء متمم لمصر^(٣) » .
واتفاقية سنة ١٨٩٨ م لا ترمي إلا الى الوجهة الادارية ولا تمس من
أية ناحية كانت مسألة السيادة . وهذا هو دون سواء المفهوم من منظورها
واليك ايضاح ذلك . جاء في الاتفاقية :

(١) — راجع الجريدة الرسمية عام ١٨٩٤ م ملحق عدد ٦٥٣ ص ٨٥٥

(٢) — راجع الكتاب الأزرق المؤرخ في ١٥ أكتوبر سنة ١٨٩٨ م

(٣) — راجع محاضر هذا المجلس بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠١ و ١٩٠٩ م

« وحيث أصبح من الضروري تنظيم طرق الادارة وسن لوائح وقوانين للمديريات التي استردت النخ » .

وهذا المفهوم من منطوقها أيده الفقرة التالية من الاتفاقية وهي :
« حيث انه لاسباب كثيرة يمكن حكم وادى حلقا وسواكن مع المديريات التي استردت بطريقة انجح نظراً لجساورتهما لاراضى السودان النخ » .

فليس حق الافتتاح ولا غيره هو الذى حدا بالحكومة المصرية لان تدمج حلقا وسواكن فى ادارة السودان بل مركزها الجغرافى فقط هو الذى حدا بها لأن تؤثر ضمهما الى حكومة السودان . وهذه مسألة شكلية صرفة .

ومن سنة ١٨٨٤ لغاية سنة ١٨٩٦ م لم تكف مصر عن أن تدرج فى ميزانيتها حسابا خصوصيا للسودان . ومذكور باحصائيات الحكومة المبالغ السنوية التى دفعتها طول هذه المدة وقيمتها بلغت
وإذ لم يترك السودان بتاتا .

ومن عام ١٨٩٦ م الى يومنا هذا ماقتت مصر تسدد عجز ميزانية السودان وتقدم له القروض اللازمة لاصلاحه وتمون فيه بمجموع جيشها تقريبا ابتغاء حفظ الأمن واتخاذ التورات التى كان يندلع لسان لهيبها فيه من وقت لآخر والقيام باشغال كثيرة للمنافع العمومية .

وكلفت الحكومة هذه القروض المتعددة ومصاريف تموين هذا الجيش زيادة بلغت وذلك حسب المدون فى القسم الثانى من هذه المذكرة الخالص بالحسابات .

واقعد بذلت مصر هذه التضحيات الهائلة رغما عما عليها من الليون
التي تن تحت أعبائها ورغما عما لديها من الاحتياج الملح لانجاز مشروعات
هاممة للمنافع العمومية . وبالأخص اشغال الري إذ كان من المستطاع
اصلاح مليونين من الافدنة بدون احتياج لصرف نصف هذه القيمة .
واذا كان لا نكثرا من الحقوق في السودان مثل ما لمصر فما كان
هنالك شيء يقعدها عن أن تدفع سنويا نصف ما تدفعه مصر . فليس في
استطاعة انسان أن يدرك شركة تكون الفائدة فيها لشريك والخسائر على
الشريك الآخر .

وهناك اعتبارات أخرى من الوجهة الاقتصادية تربط السودان
بمصر :-

إن أراضي السودان مازالت للآن بكرا عذراء وتجارها لا بد لها في
المستقبل من الاتساع ومتوجاتها لا بد لها من الازدياد في القريب العاجل
نظراً لاتساع أرضها وخصوبتها . ومع أن السـودان لديه بورسودان
لتصريف بضائعه . فهذا النقص وحده لا يكفي لتصريف بضاعة البلد عندما
تزداد بعض الزيادة . وتقس الحاجة لمرور جانب كبير من بضائع السودان
عن طريق مصر وبالأخص يوم تشتد في المستقبل وطأة مزاحمة التجارة
في هذا البلد وتفضل من الطرق أقصرها وأسرعها .

يسادل السودان الآن أكبر جانب من تجارتها مع مصر وسوف
ينادها معها دوماً لأن هذين البلدين لا غنى لأحدهما عن الآخر .

اصطلحت الأمم المتمدينة على مشروعية استثمار البلاد التي تسكنها
الاقوام الرحل المتوحشة أو الاقوام المتأخرة كثيرا في المدنية بحيث

مدنيتهم لا تسمح لهم أن يستغلوا من ارضهم ما يرقب منها من الاتاج
لأن الأمم المتقدمة ترى أن الارض ملك مشاع للانسانية وبناء على هذا
المبدأ يحق للأمم المزدهرة بلادها بالسكان أن يرحلوا جانباً من الاهالى
الى الاراضى غير الآهلة كثيراً بالسكان . ومصر من البلاد التى تعج
الآن بكثرة عدد سكانها الآخذ فى الزيادة باضطراد على توالى الايام بحيث
أخذت الارض تعجز عن أن تفي بحاجات ساكنيها وبعد سرور بضع
سنوات ستكون مسألة اسكان مايزيد من السكان عن طاقتها من المشاكل
الاجتماعية المعقدة التى تواجه الجيل القادم ويتكاف هو حلها .

وليس هنالك بلد أكثر صلاحاً لاسكان مايفيض من الاهالى عن طاقة
مصر غير السودان لأنه متاخم لها ولأنه بلد زراعى بمعنى الكلمة وتربطه
بمصر روابط شتى .

ومن المبادئ العامة التى أقرتها السياسة الدولية ووضعتها نصب
أعينها بعد الحرب الكبرى مبدأ الجنسية وهو عبارة عن تكوين وحدات
سياسية وحشد طوائف اجتماعية من عنصر واحد . وهذا المبدأ ينطبق
على مصر والسودان لأن غالبية سكانهما من عنصر عربى الاصل ومتحد
فى اللغة والدين وعوائد السودانيين أكثر مشاكلة لعوائد المصريين
أكثر من أية أمة أخرى .

ونخطر ببالنا أننا أَوْضَحْنَا حقوق مصر فى السودان بطريقة لا يمارى
فيها ممار . ولنتنقل الآن الى حسابات هذا البلد مع مصر .

القسم الثاني

المبالغ التي أنفقتها مصر على السودان

المبالغ التي أنفقتها مصر على السودان تنقسم الى ثلاثة أقسام :-

(١) - القروض التي أخذت من الميزانية المصرية المعتادة .

(٢) - القروض التي أخذت من الاحتياطي .

(٣) - نفقات الجيش المصرى بالسودان .

وتد أخفنا إلى هذه المبالغ جميعها أرباحا سنوية بواقع ٣ ٪ .
حسب التصريح الذى تقيدت به وزارة المالية المصرية أمام مجلس
شورى القوانين بناء على الرغبة التى أبدأها هذا المجلس فى ١٨ ديسمبر
سنة ١٩٠٩ م مشيراً فيها بإضافة أرباح إلى جميع المبالغ المعطاة
للسودان مساوية للأرباح التى تدفعها مصر لمداينتها .

وهاك بيان هذه المبالغ :-

(١)

بيان القروض التي أخذت من الميزانية المصرية المعتادة

السنوات	القروض	القائمة ٣. /
١٨٩٩ م	١٤٠٠٦١٣	٤٠٢١٨
١٩٠٠ م	١٣٤٠٣١٧	٨٣٧٤
١٩٠١ م	١٩٤٠٥٤٥	١٤٠٤٦٧
١٩٠٢ م	٢٦٧٠١٧٣	٢٢٠٩١١
١٩٠٣ م	١٩٦٠٠٦٣	٢٩٠٤٨٠
١٩٠٤ م	١٩٣٠٨٥٠	٣٦٠١٨٠
١٩٠٥ م	١٩٣٠٠٠٦	٤٣٠٠٥٩
١٩٠٦ م	٢٥٣٠٠٠٦	٥١٠٩٣٨
١٩٠٧ م	٢٥٣٠٠٠٦	٦١٠٠٨٦
١٩٠٨ م	٢٥٣٠٠٠٦	٧٠٠٥٠٩
١٩٠٩ م	٢٠٨٠٠٠٠	٧٨٠٨٦٤
١٩١٠ م	١٩٨٠٠٠٠	٨٧٠١٣٠
١٩١١ م	١٨٨٠٠٠٠	٩٥٠٤٢٥
١٩١٢ م	١٦٣٠٠٠٠	١٠٣٠١٧٨
من ١٩١٢ الى ١٩٢١	٠٠٠٠٠٠٠	١٠٧٠٧١٥٧٩
	٢٠٨٣٥٠٨٥	١٠٧٨٣٠٣٩٠
	المجموع الكلى	٤٦١٨٩٢٥

(٢)

بيان القروض التي أخذت من الاحتياطي

السنوات	القروض	الفائدة %
١٨٩٦ م	٦٤٠٣٠٥	جليه مصرى
١٨٩٧ م	٦٥٤٨٢٨	١٩٢٠٩
١٨٩٨ م	٥٥٠٣٧٨	٣٩٤٣٠
١٨٩٩ م	٥٦٤٧٤٥	٥٧١٢٤
١٩٠٠ — ١٩٠١ م	٢٠٨٥٧١	٧٣٩٨٠
١٩٠٢ م	١٥٥٤١٧	٨٢٤٥٧
١٩٠٣ م	١٤٦٥٤٤	٨٩٥٩٣
١٩٠٤ م	٦٣٠٣٩٢	٩٣٦٧٧
١٩٠٥ م	٧٠٤٤٥٥	١١٥٣٩٩
١٩٠٦ م	٦٧٢٢٤٢	١٣٩٩٩٥
١٩٠٧ م	٩٠١٥٩٨	١٦٤٣٦٢
١٩٠٨ م	٦٦٥٦٠٧	١٩٦٣٤٢
١٩٠٩ م	٦٤٥٢٠٠	٢٢٢١٩٩
١٩١٠ م	٥١٨٨٦٦	٢٤٨٢٢١
١٩١١ م	١٣٢٥١٠	٢٨٠٢٣٤
١٩١٢ م	٤٥٧٢٨	٢٩٢٢١٦
١٩١٣ م	٤٣٨٥٦	٣٠٢٧٦٦
١٩١٤ م	٤٩٨٩	٣١٤١٦٥
١٩١٤ — ١٩٢١ م	٠٠٠٠٠	٢٣٤٩٩٥٧٨ }
المجموع الكلى	٧٨٨٦٢٣١	٥٠٨١٢٤٦
		١٢٩٦٧٥٧٧

(٣)

بيان نفقة _____ات الجيش

في حساب هذا البيان راعينا المبالغ التي كانت تنفق على الجيش المصرى قبل فتح السودان وقبل الاستعدادات التي عملت لهذا الفتح فلم نحسبها . وأضفنا على السودان فقط الفرق بين مصروفات الجيش حال وجوده بالسودان ومصروفاته قبل الفتح حال وجود أكبر قوة عسكرية منه .

وللوصول الى هذه الغاية أخذنا متوسط ميزانية الجيش من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٢ م . فوجدنا هذا المتوسط ٣٨٣ ر ٣٣٠ جنيه مصرى . فحذفنا هذا المبلغ من الميزانية السنوية للجيش المصرى من سنة ١٨٩٩م سنة المعاهدة الى سنة ١٩٢١م وأضفنا على السودان الباقي بعد خصم هذا المتوسط .

وتعمدنا عدم ذكر نفقات الجيش من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٩م لأن هذه النفقات عملت لفتح السودان ولا يجوز اضافتها الى هذه المبالغ .

ورغما عن أن الجيش كان بأجمعه في السودان فإن المصروفات التي أضيفت على السودان هي أقل من ثلث مجموع مصروفات الجيش المصرى . ولو جربنا على تقسيم مصروفات الجيش المصرى بين مصر والسودان بقياس عدد العساكر التي في كل منهما لكان على السودان أن يتحمل كل ميزانية الجيش تقريبا .

وها هو بيان نفقات الجيش من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٩٢م الذي جعلناه أساسا لاستخراج المتوسط : —

السنوات	النفقات
١٨٨٣ م	٢٤٦٠٩١٤
١٨٨٤ م	٢٧١٠٢٧٩
١٨٨٥ م	١٢٩٠٣١٠
١٨٨٦ م	١٤٠٠٩٣٦
١٨٨٧ م	٢٠٦٠٠٦٣
١٨٨٨ م	٣٨٦٠١٣٨
١٨٨٩ م	٤٩٤٠٥٥١
١٨٩٠ م	٤٦٠٠٩٧٧
١٨٩١ م	٤٩٤٠٣٠٠
١٨٩٢ م	٤٧٣٠٣٥٦
المجموع	٣٠٣٠٣٠٨٢٣

